بحوث
في مقارنة الأديان

الدين - نشأته - الحاجة إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث في مقارنة الأديان

الدين - نشأته - الحاجة إليه

بقلم
الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح



ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
دار الثقافة
الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١م

دار الثقافة
تليفون { مبيعات ٤١٣٤٧١ : تلكس : ٤٣٥٤
إدارة ٤١٣١٨٠ : برقياً (سالم)
سجل تجاري : ١٦٩٦ - ص . ب : ١٢٥٩٨
فاكس : ٤١٨١٢٠
الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ (سورة الروم ، الآية رقم ٣٠) .

وقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ (سورة البينة ، الآية رقم ٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ (سورة فاطر ، الآية رقم ١٥) .

الحمد لله رب العالمين . الذي ما خلق الخلق عبثاً . وإنما لمهمة في هذه الحياة : ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ . . .

والصلاة والسلام على الرسول الكريم ، المبعوث رحمة ، وهداية للناس أجمعين ، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعد . . .

فإن من شأن المثقف بالثقافة الإسلامية ، أن يتعرف على علم مقارنة الأديان . لأن معرفة أديان الأمم ومذاهبها أمر في غاية الأهمية . لأن الإنسان لا يعيش وحده في هذه الحياة . وإنما يعيش معه ناس آخرون ، وأمم مختلفة المذاهب والعقائد . والإنسان المتحضر ، لا بد وأن يكون على اتصال ، بالأمم والشعوب ـ أياً كان هذا الاتصال ـ ومن الضروري للإنسان المتحضر ، أن يكون على ثقافة بأديان الأمم . وقد فطن إلى هذا علماء السلف المسلمين ، انطلاقاً من دعوة الإسلام ، التي تدعو المسلمين إلى أن يتعرفوا على الناس ، ويقيموا معهم أواصر الصداقة ، وعرى المحبة ، والتعاون ، وتبادل المنافع ، وما يفيد الإنسان في الأرض . .

ومن شأن المسلمين ، أن يتابعوا الخطى ، فيما كان عن السلف الصالح ، من علوم أفادت الإنسانية ، في غير تعصب جاهلي ، أو شكلية ممجوجة . وبهذا نمضي في الطريق ، الذي وضحت معالمه ، ونحن على بينة من أمرنا . .

وهذه « بحوث في مقارنة الأديان » جاءت تلبيـة ، لرغبـة الكثيرين ، من رواد المعرفة ، وطلاب العلم ، الذين يريدون العلامات المضيئة في الطريق . لينطلقوا وهم على دراية بما هم في حاجة إليه .

وهذه البحوث التي جاءت في مقارنة الأديان ، حاولت قدر جهدي ، أن تكون وافية بالمقصود ، وأقرب إلى المنهل ، والعطاء . يجد فيهـا الإنسان مـا يزيده حباً في البحث والقراءة ، وما يدفعه إلى المزيد من قراءة كتب الأمم . . ويجـد الإنسـان فيهـا المعـالم التي تضيء الـطريق ، وتـدفــع إلى السيـر في الأعماق ، وهو مطمئن ، ومتفتح ، وواع ، وعلى بصيرة من أمره . . وإن الأمة الإسلامية ، وهي تخطو على مجد الأسلاف . من شأنهـا أن تتبصر المـواقع ، وتحسن السير ، وتبحث عن العلم النافع المفيد ، الذي يدخل بها في معتـرك الحياة .

ومن شأن الأمم النابهة ، أن تقرأ نفسها وغيرها ، وتأخذ بمجامع العلم ، وتنشده في مظانه وغير مظـانه . حتى تتمكن من المـواكبة ، والتقـدم ، والرقي الفكري والحضاري . ومن شأننا أن نقرأ ثقافات الأمم وفلسفاتهـا ، وحاضـرها وماضيها . وقد يكشف لنا ذلك عن أمور كثيرة .

من أهم هذه الأمور أن نتعرف على موقعنا ، ومكاننا ، ومكانتنـا . وبهذا نستطيع أن نجني ثمار جهودنا ، فنزداد علماً ، ومعرفـة ، وتقدمـاً ، وحضارة . ونندفع إلى التقدم في غير خجل ، وإلى القوة في غير طيش ، وإلى العمل في غير تواكل . .

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والأديان
بجامعة الأزهر وجامعة قطر

قد يكون المرء ، غير مجانب للصواب . إذا قال : إن معرفة الأديان والمذاهب ، أمر يهم الناس جميعاً ، سواء من يعتقدون بدين ، ومن لا يعتقدون . وحاجة الإنسانية إلى دراسة الأديان . ترتبط بحاجة كل إنسان ـ خاصة المثقف ـ إلى الاطمئنان إلى سلامة تفكيره ، وسلوكه ، أو اعتقاده ، وتصرفاته[1] .

ومن شأن رواد المعرفة ، وطلاب العلم ، ورجال الثقافة . أن يكونوا على دراية بالمذاهب والأديان . حتى لا يكون الإنسان بعيداً عن كل ما يمس الإنسان أو يلامس حياته ، أو يتصل به من قريب أو بعيد . ويذكر العلماء : أن علم الأديان ، يبحث عن منشأ الأديان وتطورها ، وفي الأسس التي ترتكز إليها الأديان المختلفة ، وفي أوجه الإتفاق ، أو الإختلاف فيما بينها . وبعبارة أخرى : إنه يناقش تاريخ الأديان ، ويوضح فلسفتها ، ويوازن بينها .

فتاريخ الأديان : يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ، ومرتكزاتها ، لدى الشعوب البدائية المتخلفة ، والشعوب المتمدنة . فالغرض إذن من دراسة الأديان هو معرفتها .

وأما فلسفة الأديان : فإنها تبحث في العلاقات بين الأسس التي تستند

(١) انظر الدكتور عمارة نجيب الإنسان في ظل الأديان ص ٥ ط المكتبة التوفيقية بالحسين بمصر ١٩٧٦ م .

إليها الأديان المختلفة ، وفي الغايات التي تهدف إليها . ويدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة ، وعلم الكلام ، أو اللاهوت ، وعلم التصوف[1] .

وأما مقارنة الأديان أو تاريخ الأديان المقارن . فإنه يدرس خصائص ومميزات كل دين ، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى[2] .

ولقد قدم القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الأول ، في مجال مقارنة الأديان . ولقد حفل القرآن الكريم بالحديث المفصل ، المستوعب عن الأديان ، والعقائد ، والملل ، والنحل ، والمذاهب المختلفة المتنوعة ، وعرض مقالاتهم بدقة ، واستقصاء ، ثم ناقشها وبيّن وجوه الزلل ، والخطل ، والبطلان ، والزيف فيها . وقارن بينها وبين الدين الصحيح ، الذي أرسل الله به رسله ، عليهم الصلاة والسلام[3] .

ـ وتجد ذلك واضحاً في حديث القرآن الكريم ، عن اليهود والنصارى ، حيث فصل القرآن مقالاتهم ، واعتقاداتهم ، ومذاهبهم . ولم يعالجها متعجلاً في نص أو نصين . وإنما جاء فيها بفيض غزير زاخر ، يتناولها من أقطارها ، ويكشف عن خباياها وأبعادها . وعلى سبيل المثال : فإن الحديث عن بني إسرائيل ، جاء في القرآن الكريم ، من أكثر المسائل نصوصاً ، بعد العقائد . تحدث القرآن الكريم ، في المكي منه والمدني ، على سواء ، وفي السبع الطوال ، وما بعدها ، من المثاني والمئين ، والمفصل . وتناولهم بالآية المفردة ، وبالجملة المتصلة من الآيات[4] .

ـ وتجد ذلك واضحاً ، حين ساق القرآن الكريم ، مقالة الملاحدة

---

(١) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تأريخية مقارنة . القسم الأول ص ١٨ ط دار الحرية ببغداد ١٩٧٦ م .

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

(٣) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي الرد الجميل لإلهية عيسى . المقدمة ص ١٧ ط دار الهداية بمصر ١٤٠٦ هـ .

(٤) د/ محمد عبد الله الشرقاوي مقدمة الرد الجميل لإلهية عيسى ص ١٨ وراجع د/ عبد الستار فتح الله سعيد في معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٦٩ و ٧٠ ط القاهرة .

الدهريين . والدهريون : هم الذين قالوا بالطبع المحيي ، والدهر المفني[1] . فيقول على لسانهم : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾[3] . ومفهوم عقيدة الدهريين : خلو العالم عن المدبر الحكيم الخالق القادر ، ورفض ما بعد هذه الحياة من حقائق الدار الآخرة . والقرآن حين يعرض مقالة الدهريين يعرضها كما هي . ثم يعقب عليها بأنها قائمة على الظن ، وليست وليدة العلم اليقيني، وكفى بالظن طريقاً لرفض هذه العقيدة . لأن العقائد الصحيحة . إنما تقوم على العلم اليقيني ، بكل مستويات اليقين[4] .

ـ ونجد ذلك أيضاً واضحاً ، فيما ساقه القرآن الكريم من مقالة الذين أنكروا البعث والحياة الآخرة . قال تعالى : ﴿ **هيهات هيهات لما توعدون . إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ **بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾[6] . .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة للمقارنة . وقد تحدث القرآن عن كثير من الأديان سماوية كانت أو وضعية . فكما تحدث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية ، تحدث كذلك عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة . وسماها القرآن أدياناً مع بطلانها[7] . قال تعالى : ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾[8] .

---

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار [العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها] ص ١٠٦ ط دار الطباعة المحمدية ١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الجاثية . الآية رقم ٢٤ . .

(٣) سورة الأنعام . الآية رقم ٢٩ . .

(٤) انظر : الدكتور محمد عبد الستار نصار [العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها] ص ١٠٦ .

(٥) سورة المؤمنون . الآية رقم ٣٦ .

(٦) سورة المؤمنون . الآية رقم ٨١ و٨٣ .

(٧) الدكتور أحمد شلبي مقارنة الأديان [اليهودية] ص ٢٧ ط مكتبة النهضة ١٩٧٨ م .

(٨) سورة الكافرون . الآية رقم ٦ .

ولقد كان طبيعياً أن يهتم العلماء المسلمون ـ بتأثير مباشر من القرآن ـ اهتماماً بالغاً بدراسة أديان الأمم وعقائدها . وطقوسها . ومن هنا نشأ علم مقارنة الأديان .

ومن الطبيعي كما يقول الدكتور أحمد شلبي : إن هذا العلم ، لم يظهر قبل الإسلام ، لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى . وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالاً . وحسبك أن تتذكر موقف اليهودية من المسيحية ومن المسيح . وموقف المسيحية من اليهودية واليهود ، فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالمسيح ، واعتبر المسيح ثائراً ، استحق عندهم الحكم بالإعدام ، والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية ، ولم تر مع وجودها وجوداً لليهودية . ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية ، والبوذية من الهندوسية[١] . بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك . إذ أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين ، وعدت اتجاهاتها هرطقة وضلالاً . وربما حكمت كل منها بالإعدام على أتباع سواها .

وهذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب . ومن هنا لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام ، لأن المقارنة نتيجة للتعدد ، وليس التعدد معترفاً به عند أحد ، فلم يوجد ما يترتب عليه ، وهو المقارنة[٢] . وجاء الإسلام وكان موقفه بالنسبة للأديان الأخرى ، ينضوي تحت اتجاهين : الناحية النظرية ، والناحية الواقعية .

ــ فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام ، أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان[٣] . التي ترتبط بوحدة الإيمان ، ووحدة الإيمان حقيقة تفرضها وحدة المصدر بصورة قاطعة ، لا تقبل الجدل أو التشكيك ، ولا يغير من واقعها ، وجود فواصل البعد الزمني ، بين الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى عباده . وربما يكون لعامل الزمن أثره الواضح ، في اختلاف التشريعات، التي يفترض فيها أن

---

(١) الدكتور أحمد شلبي . مقارنة الأديان : اليهودية ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ . . بتصرف واختصار .

تنسجم مع المستوى الفكري والمعاشي لمن تكون لهم . ولكن الإيمان يبقى واحداً في أساسه . وثمة آيتين في القرآن الكريم . تؤكدان هذه الحقيقة . حقيقة الإيمان وتغير التشريعات . قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا لكم شرعةً ومنهاجاً** ﴾[2] . فالآية الأولى تعني : وحدة الإيمان في أسسه . والآية الثانية : تعني متغيرات الشريعة ، وما يعود إلى الأعمال[3] .

ومن هنا كان الإسلام يشتمل على امتداد في المعتقد الديني ، يعرض لقضية البشرية ، من نشأتها إلى غايتها ، في إيجاز وإجمال[4] . . وبالتالي كان المسلمون مطالبين بتصديق الأنبياء والرسل جميعاً . قال تعالى : ﴿ **قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾[5] .

ـ وإذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان الأخرى . فإنه من الناحية الواقعية يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير مسلمة ، ويتحدث عن أهل الكتاب ، وعن حقوقهم ، وواجباتهم . وفي ضوء هذا ، وجد « علم مقارنة الأديان »[6] .

وبكل تأكيد : كان اهتمام العلماء المسلمين ، بمقارنة الأديان ، نابعاً من القرآن الكريم ، الذي فتح الطريق ، أمام العلماء المتخصصين ، والدارسين .

---

(١) سورة الشورى . الآية رقم ١٣ .

(٢) سورة المائدة . الآية رقم ٤٨ .

(٣) راجع الدكتور أحمد السايح . الفضيلة والفضائل في الإسلام ص ٢٦ ط مجمع البحوث بالأزهر سنة ١٩٨٤ م .

(٤) الدكتور أحمد السايح . فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٨ ط المجلس الأعلى بالقاهرة ١٤١٠ هـ .

(٥) سورة البقرة . الآية رقم ١٣٦ .

(٦) الدكتور أحمد شلبي . مقارنة الأديان : اليهودية ص ٢٦ و ٢٧ .

ولهـذا قـام العلمـاء فعقـدوا لهـذا الغـرض كتبـاً مفـردة أو فصـولاً مـطولـة من مصنفـاتهم[1] . ومن المشاهيـر الذين كتبـوا في مقـارنـة الأديـان : النـوبختي ٢٠٢ هـ ويعتبر كتابه : « الآراء والديانات » أول كتاب في هذا المجال . وبعده كتب المسعــودي (٣٤٦ هـ) كتـابين عن الـديــانــات . ثم جـاء المسبحي (٤٢٠ هـ) فكتب كتـابه : « درك البغيـة في وصف الأديان والعبـادات » وهـو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة[2] . ويذكر الدكتور الشرقاوي : أن المسعـودي وابن خلدون . كانـا على علم واسع ، بكـل ما يتعلق بـاليهـوديـة والنصرانية وفرقهما المختلفة . ويقول : إن بعض العلماء المسلمين كان فقيهاً في التوراة والإنجيل . أمثال كمال الدين بن يونس الشافعي ، الذي قال فيه ابن خلكـان : « إن أهل الـذمة من اليهـود والنصارى كـانـوا يقـرأون عليـه التـوراة والإنجيل ، فيفسرهما لهم . وكانوا يعترفون بأنهم لا يجدون من يوضحهـا لهم مثله . ثم هناك البيروني الذي يتحدث عن اليهودية في كتابه : « الآثار الباقية من القرون الخالية » وعن الهندوكيـة ، وأديان الهنـد ، في كتابـه : « ما للهنـد من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » بدقة ونزاهة عميقتين »[3] .

ولقـد كتب في الأديـان والمــذاهب كـل من : أبي منصــور البغـدادي (٤٢٩ هـ) في كتـابه : « الملل والنحـل »[4] وكتـابـه : « الفـرق بين الفـرق » . والشهرستاني في (٥٤٨) في « الملل والنحل » . وابن حزم الأندلسي : (٤٥٦) في كتابه : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » . وأبي الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » . وكتب الجاحظ رسالة في الرد على النصـارى . وأبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري كتـاباً في « الـرد على النصارى »[5] . وأبـو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي رسالة في الرد على النصارى . وكتب كذلك أبو الحسن العامري المتوفى ٣٨١ هـ كتاباً أسماه « الإعلام بمنـاقب الإسلام »

(١) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي مقدمة الرد الجميل لإلهية عيسى ص ١٨ .

(٢) الدكتور أحمد شلبي مقارنة الأديان : اليهودية ص ٢٨ .

(٣) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي مقدمة الرد الجميل لإلهية عيسى ص ١٨ .

(٤) ط بتحقيق الدكتور البير نصري نادر وأصدرته دار المشرق ببيروت .

(٥) وقد حققه وقدم له الدكتور محمد محمد حسانين . وتم نشره بمكتبة المدارس بالدوحة ١٤٠٩ هـ .

وصنف شيخ الإسلام أبو المعالي الجويني رسالة : « شفاء الغليل في الرد على من بدل التوراة والإنجيل » وكتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كتاباً تحت عنوان : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ووضع ابن القيم كتاباً اسمه : « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » . ووضع المهتدي عبد الله الترجمان والذي كان يعرف بالقس الكاثوليكي : « تورميدا » كتابه : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب » وكذلك وضع المهتدي سعيد بن حسن الإسكندراني الذي كان يهودياً وأسلم رسالة أسماها : « مسالك النظر في نبوة سيد البشر »[1] . وغير هذا كثير مما زخرت به المكتبة العربية . وهناك مخطوطات كثيرة في مقارنة الأديان ، وتحتاج إلى دراسة وتحقيق . ومما يحسن أن يشار إليه ، أن علم مقارنة الأديان ، لم يكن وسيلة عند المسلمين ، للحط من الأديان الأخرى ، وإنما كان دراسة وصفية واقعية ، مستمدة من المنابع الأولى ، والمصادر الموثوقة ، لكل دين ، أو ملة ، أو مذهب . وهكذا اختط المسلمون لدراسة الأديان علماً مستقلاً ، ومنهجاً علمياً سليماً[2] . وبواسطة هذا العلم ، دخل الآلاف والملايين ، في الدين الإسلامي[3] . .

ومما يسترعي الانتباه : أن علم مقارنة الأديان ، الذي انبثق من القرآن الكريم، وتبحر فيه العلماء المسلمون . قد مر بفترات ضعف وركود . ويذكر الدكتور أحمد شلبي أسباباً لاختفاء علم مقارنة الأديان . رأيت إتماماً للفائدة أن نجملها في النقاط التالية :

١ ـ ازدحمت قصور الملوك والخلفاء ، في عصور الضعف ، بزوجات من أهل الكتاب ، وبعدد من الأطباء والوزراء ، من غير المسلمين ، وبسبب نفوذ هؤلاء ، ضعف صوت مقارنة الأديان ، الذي كان يطعن في عقائدهم المنحرفة . وقد استطاع أصحاب النفوذ أن يسكتوا أصوات المتحدثين في مقارنة الأديان ، حتى اختفت هذه المادة من الدراسة ، ومن المناهج .

٢ ـ زحف الصليبيون على الشرق الإسلامي ، بقصد تدمير الإسلام

---

(١) راجع الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي مقدمة الرد الجميل ص ٢٠ .

(٢) الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك [الأديان دراسة تاريخية مقارنة] ص ١١ .

(٣) الدكتور أحمد شلبي مقارنة الأديان : اليهودية ص ٢٩ .

والمسلمين ، وقابل المسلمون القوة بالقوة ، وكان من الواضح ، أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الديني ، ولا الجدال بالحسنى ، فخفت صوت هذه المجادلة تحت صليل السيوف .

٣ ـ في عصور الضعف التي ألمت بالمسلمين ، اتجه أكثر فقهاء المذاهب ، إلى التعصب لمذاهبهم الفقهية ، وقل أو انعدم اطلاعهم على المذاهب الأخرى . ومن باب أولى . قل أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى وقضاياها .

٤ ـ ومما دفع المسلمين إلى إهمال علم مقارنة الأديان ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ أن بعض المسلمين تبنوا الاتجاه الذي كان سائداً لدى أتباع الأديان السابقة للإسلام . فقد كان هؤلاء لا يعترفون بغير دينهم . وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة بين الأديان . فلما اقتبس بعض المسلمين هذا الاتجاه ، دانوا به ، ووجد منهم من يهاجم مقارنة الأديان . باعتبار : أن الإسلام لا يقارن بسواه . وقد نسي الذين ينتهجون هذا الاتجاه : أن القرآن الكريم هو الذي وضع جذور هذا العلم ، ووجدت به بعض آيات تحمل اتجاه المقارنة[1] .

ولا يخفى أن علم مقارنة الأديان ، انتقل إلى علماء الغرب . فبرزوا فيه ، ليكون وسيلة من وسائل التبشير ، ونشر المسيحية . وألف علماء الغرب في هذا العلم مئات الكتب . ومن شأن علماء الأمة الإسلامية ، أن يتعرفوا على ما كتبه العلماء الغربيون في مقارنة الأديان . فإنه مفيد للعلماء المسلمين ، الذين يعنون بمقارنة الأديان .

ولا يخفى أن انتشار علم مقارنة الأديان ، واهتمام العلماء به ، واطلاع الناس عليه ، عامل من عوامل تبيان الحق ، والتعرف على الإسلام .

---

(١) انظر الدكتور أحمد شلبي [مقارنة الأديان : اليهودية] ص ٢٩ و ٣٠ .

إن كلمة « الدين » من أكثر الكلمات استعمالاً ، في القديم والحديث ، ومن أكثر الكلمات ذيوعاً وانتشاراً في دنيا الناس .

ومن أحب أن يتعرف كنه دين الإسلام ، أو دين المسيحية ، أو اليهودية ، أو المجوسية ، أو البوذية ، أو الوثنية ، أو غيرهما من الأديان ، التي ظهرت في الوجود ، يجمل به أن يوفر همته ، قبل كل شيء ، على تعرف المعنى الكلي ، الذي يجمعها ، والقدر المشترك الذي تنطوي عليه في جملتها . إذ أنه من الواضح أنه وإن تفاوتت الأديان في نفسها ، أو في مصادرها . أو في أهدافها، أو في قيمها . فإنها كلها يجمعها اسم « الدين » فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنتظمها ، ويعبر عنها بهذا الإسم المشترك[1] . فما هي تلك الوحدة .؟ . ما الدين ؟ وللإجابة عن هذا السؤال . لا غنى عن الرجوع قبل كل شيء إلى معاجم اللغة العربية[2] . والمعاجم اللغوية المختلفة تقول لنا أن الدين اسم عام يطلق في اللغة العربية ، على كل ما يتعبد الله تعالى به . كما يطلق على معان عدة . منها : الملك ، والسلطان ، والقهر ، والطاعة ، والقضاء ، والعادة ، والمذهب ، والشريعة ، والملة[3] .

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٢٨ط دار القلم بالكويت ١٤٠هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ . .

(٣) ـ الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك [الأديان دراسة تاريخية مقارنة] ص ١٩ . .

وجاء في اللسان : الدين مفرد جمعه أديان . . يقال : دان بكذا ديانة . وتدين به ، فهو دين ومتدين . ودانه ديناً أي أذله واستعبده . قـال أبو عبيـدة : قوله : « دان نفسه »[1] أي أذلها واستعبدها . وقيل : حاسبهـا . والدين : مـا يتدين به الرجل ، والدين : السلطان . والدين : الورع . والدين : الطاعة[2] . وجـاء في القامـوس : « الدين : الجـزاء ، والإسـلام ، والعـادة ، والعبـادة ، والطاعة ، والذل ، والداء ، والحسـاب ، والـقهـر ، والغلبـة ، والإستعلاء ، والسلطان ، والملك ، والحكم ، والسيرة ، والتدبير ، والتوحيد ، واسم لجميع ما يتعبد الله ـ عز وجل ـ به ، والملة ، والورع[3] .

وإن المتأمل فيما ذكرته المعاجم اللغوية ، لمعاني كلمة الدين . يجد أن هذه المعاني كثيـرة ، وبعيدة عن بعضهـا . والدكتـور محمد عبـد الله دراز في كتابه : « الدين » : أثبت أن المعاجم اللغوية ، لا تضع أيدينـا ، على المعنى اللغوي المراد ، بمفهومه الدقيق ، لتعريف كلمة الدين . وأنها إنما تكشف لنا فحسب ، عن الوجوه المتشعبة ، لمعاني هذه الكلمة . والتمس لهذه المراجع المعجمية العذر فـي أنهـا إنما وضعت لضبط الألفاظ ، لا لتحديـد المعاني . وأن مهمتهـا هي لتقويم اللسـان . فللمعاجم العـذر إن هي في بعض الأحيـان عرفت الشيء بنفسه أو بضده . فتقول : البـلاغ : ما يتبلغ بـه ، والدواء : مـا يتداوى به ، والدين ما يدان به[4] .

وقد أرجع الدكتور دراز تلك المعاني المختلفة لكلمة « دين » إلى ثلاثـة معان ، تكاد تكون متلازمة ، وأرجع ما يلحظ من تفاوت بين هذه المعاني إلى أن كلمة : « دين » ليست كلمة واحدة ، بل هي ثلاث كلمات . وبعبارة أدق : إنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب . بيان ذلك . أن كلمة « الدين » تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه « دانه يدينه ». وتارة من فعل متعد باللام « دان له » . وتارة من

---

(١) ـ هذه العبارة جزء من حديث : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » .

(٢) ـ انظر : ابن منظور المصري . لسان العرب . مادة « دين » .

(٣) ـ انظر : الفيروزأبـادي . القاموس المحيط . مادة « دين » .

(٤) ـ راجع الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين ص ٢٩ ، وانظر كذلك الدكتـور محمود بن الشريف ، الأديان في القرآن ص ٢٠ ط دار عكاظ بجدة ١٩٧٩ م .

فعل متعد بالباء . « دان به » . وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة[1] .

١ ـ فإذا قلنا : « دانه يدينه » عنينا بذلك أنه ملكه ، وحكمه ، وساسه ، ودبره ، وقهره ، وحاسبه ، وقضى في شأنه ، وجازاه ، وكافأه . فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك ، والتصرف بما هو شأن الملوك من السياسة ، والتدبير ، والحكم ، والقهر ، والمحاسبة ، والمجازاة . ومن ذلك « مالك يوم الدين » أي يوم المحاسبة والجزاء . وفي الحديث : « الكيس من دان نفسه » أي حكمها وضبطها . والديان الحكم القاضي .

٢ ـ وإذا قلنا : « دان له » أردنا أنه أطاعه ، وخضع له . فالدين هنا هو الخضوع ، والطاعة ، والعبادة ، والورع . وكلمة « الدين لله » يصح أن منها كلا المعنيين : الحكم لله ، أو الخضوع لله . وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ، ومطاوع له . « دانه فدان له » أي قهره على الطاعة ، فخضع وأطاع .

٣ ـ وإذا قلنا : « دان بالشيء » كان معناه أنه اتخذه ديناً ومذهباً أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به . فالدين على هذا هو المذهب والطريقة ، التي يسير عليها المرء ، نظرياً أو عملياً . فالمذهب العملي لكل امرىء . هو عادته وسيرته . كما يقال : « هذا ديني وديدني » . . . والمذهب النظري . هو عقيدته ، ورأيه الذي يعتنقه . ومن ذلك قولهم : دينت الرجل . أي وكلته إلى دينه ، ولم أعترض عليه فيما يراه سائغاً في اعتقاده[2] .

ولا يخفى أن هذا الاستعمال تابع أيضاً للاستعمالين قبله . لأن العادة ، أو العقيدة ، التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ، ما يجعله ينقاد لها ، ويلتزم اتباعها[3] .

---

(١) ـ د / دراز : الدين ص٣٠ . وراجع كذلك الدكتور رشدي عليان وسعدون السامـوك في كتاب الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٢٠ . .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ص ٣١ . .

(٣) ـ المصدر السابق ص ٣١ . .

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية . أن كلمة الدين عند العرب ، تشير إلى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر .

- فإذا وصف بها الطرف الأول . كانت خضوعاً وانقياداً .
- وإذا وصف بها الطرف الثاني . كانت أمراً وسلطاناً ، وحكماً وإلزاماً .
- وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين . كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذي يعبر عنها(1) .

ويمكن أن يقال : إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد . .

- فإن الاستعمال الأول : الدين هو إلزام الانقياد .
- وفي الاستعمال الثاني : الدين هو التزام الانقياد .
- وفي الاستعمال الثالث : الدين هو المبدأ الذي يلتزم الإنقياد له(2) .

والذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات . هو الاستعمالان الأخيران وعلى الأخص الاستعمال الثالث . فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان . لها معنيان . لا غير .

- أحدهما : هذه الحالة النفسية التي نسميها التدين .
- وثانيهما : تلك الحقيقة الخارجية أو الآثار الخالدة ، التي يمكن الرجوع إليها في المبادىء التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً(3) . ولا يخفى أن التعرف على اشتقاقات كلمة الدين وتصريفاتها ، يكشف لنا عن أصالة الكلمة في اللغة العربية ، وجذورها العميقة . وقد ورد لفظ الدين ، في القرآن الكريم ، مفرداً ومعطوفاً ، في تسعة عشر موضعاً(4) .

وإذا كنا عرفنا معنى كلمة « دين » وأصلها في اللغة . فإن الأمر يقتضي أن نعرف معنى كلمة الدين ، في اصطلاحات العلماء ، وأعراف الناس . ولا

---

(1) المصدر السابق ص ٣١ .

(2) المصدر السابق ص ٣١ وانظر كذلك . د. رشدي عليان وسعدون الساموك . الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٢١ .

(3) ـ الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ص ٣٢ .

(4) راجع : محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مادة دين .

يخفى أن آراء العلماء المعنيين ، بتاريخ الأديان وفلسفتها ، على اختلاف كبير جداً ، في وضع حد علمي مقبول ، بين الجميع لموضوع الدين . وصار من المستحيل وضع إطار يتفق عليه بصورة يجمع على أنها تمثل الدين . كما أنه من الصعوبة إيجاد تعريف شامل وعام لماهية الدين ، تشمل الأديان البدائية والمتكاملة ، والسبب في ذلك أن لكل دين نواحي خاصة به ، سواء في الشعور ، أو في الاعتقاد ، أو في العبادة . وعلى هذا فليس من السهل وضع حدود معينة لمعنى الدين(١) .

١ ـ لأن الذي يتعرض لهذا المطلب الصعب ، سوف يجد نفسه أمام أشكال مختلفة ، وألوان متباينة ، من الأديان ، لا يكاد يحصرها عد ، أو يحدها حد . وهذه الأديان كلها ، لا تجمعها وحدة واحدة ، ولا تقع تحت جنس قريب . ومن هنا يصعب استخراج معنى يشملها جميعها .

٢ ـ وسوف يجد أن كل دين من هذه الأديان ، ينشعب إلى شعب كثيرة وينصدع إلى صدوع عديدة . فلا يكاد المرء يبدأ البحث ؛ حتى يجد نفسه ، أمام جمع هائل من الأديان ، وأمام كل دين ركام هائل من المذاهب والشيع ، والملل والنحل ، والطوائف والفرق . وقد يصل أمر الخلاف بهذه الفرق والشيّع ، التي تفرعت عن الدين الواحد ، حدًّا يخرج بها عن الأصول العامة ، لهذا الدين الذي خرجت منه ، وتفرعت عنه .

٣ ـ يضاف إلى ذلك أن الأديان ـ غالباً ـ لا تثبت على حالة واحدة ، فعند تطبيقها موضوعياً ، يقع عليها الكثير ، من التغيير والتبديل ، مما يبعد بها قليلاً أو كثيراً ، عن أصولها النظرية . وذلك أمر يتطلب من الباحث نظرة فاحصة ، وجهداً مضاعفاً ، ويحتاج منه دقة في التحليل ، وحيدة في التقرير ، وموضوعية في التفكير ، حتى يصل إلى هدفه ، ويخلص إلى غايته(٢) .

ولهذا يذهب البعض إلى أن اختلاف العلماء حول تعريف الدين ، وكثرة

---

(١) انظر : العميد عبد الرزاق محمود المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب . المجلد الأول ص ١٩ ط الدار العربية للموسوعات . بيروت ١٩٨١ م .

(٢) ـ راجع الدكتور محمود مزروعة [دراسات في الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان] ص ٧ ، ٨ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٩م .

التعريفات التي وضعوها له ، دليل على أنه لا يصح وضـع تعريف للدين ، أو تحديد مفهوم له . ومن هؤلاء الشيخ مصطفى عبد الرازق الـذي ذهب يقول : « على أن هذه الحيرة ، حيرة العلماء في تحديد عناصر الدين . وهذا الخلاف بينهم على وضع تعريف يعرب عن حقيقته . كل أولئك يدل على أن العلم لم يكشف الحجب عن الدين وأسراره . وربما كان من غرور العقل البشري ، أن يزعم لنفسه القدرة على هدم بناء متين ، متغلغل الأسس ، في الفطر الإنسانية ، من قبل أن يعرف مواد هذا البناء ، أو يعرف كيف تم بناؤه »[1] .

ومن هؤلاء أيضاً الاستاذ عبد الكريم الخطيب الذي يرى :

١ ـ أن الدين صلة شخصية روحية بين الإنسان والإله ، وبين السيد وربه المعبود .

٢ ـ أن الدين عاطفة إنسانية فردية . حولها تجتمع كل عواطف الإنسان .

٣ ـ ولأن الدين عاطفة فردية وصلة شخصية ، فإنه يستحيل وضع مدلول لفظي ، يطالع فيه كل متدين حقيقة الدين الذي يؤمن به .

٤ ـ استحالـة وضـع تعـريف للدين ، لأن النـاس يختلفـون من حيث الصدق ، والإيمان ، واليقين . لأن الدين مكابدة فردية ، ومعاناة ذاتية .

٥ ـ إن الوضع السليم لكل متدين لكي يعرف دينه ، ويكتشف حقيقة هذا الدين . أن ينطوي إلى الداخل ـ وليس إلى الخارج ـ لكي يكتشف هذا الدين ، دينه هو الشخصي ، الذي لا رابطة بينه وبين الأديان الأخرى في الخارج . بل لا رابطة بينه وبين الآخرين ممن يدينون بنفس دينه . ويعتنقون عين عقيدتـه . والمتدين حسبه في اكتشافه دينه . أن يجد الإحساس الديني الـذي يتخلق في كيانه من مفاهيم عقيدته ، وتصوراته لتلك المفاهيم[2] .

وإن الذي يتفرس مقولة الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، أعماقاً وأبعـاداً ،

---

(١) انظر الدكتور محمود مزروعة دراسـات في الدين ص٩ . وراجـع الشيخ مصـطفى عبد الرازق [الدين والوحي والإسلام] ص ٢١ .

(٢) ـ انظر الدكتور محمود مزروعة دراسات في الدين ص ١٣ . وراجع الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه [الله ذاتاً وموضوعاً] ص ٣ ـ ٦ .

يلحظ بوضوح ، أن هذه المقولة ، تخالف الحقيقة ، وتجافي الواقع . وليس لها من فلسفة إلا إبعاد الدين عن حركة الحياة .

ولما كانت مقولة الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، بعيدة عن الصواب ، فقد واجهها العلماء بالتعقيب وبيان الصواب . ومن هؤلاء العلماء الذين واجهوا هذه المقولة بعد عرضها الدكتور محمود مزروعة في كتابه : « دراسات في الدين » فقد بيَّن :

١ ـ أن الدين ـ وإن كان صلة روحية بين الإنسان وربه ، ومكابدة ذاتية ـ فهو إلى ذلك حقيقة خارجية ، لها مظاهرها وآثارها الواضحة على الفرد والجماعة على سواء .

٢ ـ أن الأديان جميعها تتميز بشعبيتها وعمومها بين الأفراد المتبعين لها . فهي ـ وإن كانت معاناة فردية ـ إلا أنها عامة وشعبية . وليس أدل على ذلك من العبادات والطقوس التي يؤديها المتبعون لها في كل دين . والتي تقوم أساساً على الإجتماع والكثرة .

٣ ـ أن الأديان ـ وإن كانت عاطفة فردية ـ فإنها لم تترك لكل فرد حرية أن يتصرف فيها كما يشاء ، ويكيفها كما يريد . ولكن كل دين مهما كانت صفته قد قام على أسس وقواعد ، ونظم ، وتشريعات ، وعقائد . وهذه كلها يجب أن يتبعها ويسير عليها ، ويتمسك بها كل من يتدين بهذا الدين ويعتنقه . معنى هذا أن الدين ليس في جوهره عاطفة شخصية . وإنما هو حقيقة خارجية ، تحكمها تعاليم معينة ، وعقائد وتشريعات محددة ، ولم يترك للجانب الشخصي من كل ذلك إلا مدى الإخلاص في اتباع هذه التعليمات والتمسك بها .

٤ ـ أن الدين حقيقة عامة في جوهره ، أما الجانب الشخصي فيه ، فهو متصور على مدى التمسك به، والسير على تعاليمه، والإخلاص في تطبيق هذه التعاليم . وليس أدل على ذلك من أن الدين ظاهرة عامة تصطبغ بها تصرفات الأفراد والجماعات على سواء . وتظهر هذه الصبغة في كل مناحي الحياة الفردية والجماعية . لا يكاد يخلو منها جانب صغير أو كبير . مما حدا بالكثيرين من العلماء ، أن يذهبوا إلى أن الدين ، هو العامل الأساسي ، وراء كل التغيرات

التي تطرأ على حياة الأفراد والجماعات . سواء في ذلك الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[1] .

وإذا كان هناك فريق من العلماء يرى صعوبة وضع تعريف للدين . فإننا نرى أن هناك أيضاً كثير من العلماء يرون أنه لا بد من ذكر تعريف للدين يميزه عن غيره من المذاهب المختلفة . وتبدو وجهة نظر هؤلاء العلماء أكثر قبولاً . لأنه من غير المعقول أن تعرف المذاهب الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وغيرها . ولا يعرف الدين بتعريف يفهم الناس منه أنه للدين .

ويقول الدكتور محمد دراز : ما هي الخصائص والعناصر الجوهرية التي تميز العقيدة الدينية أو السلوك أو الشعور الديني بوجه عام عن سواها ؟

لا ريب أن تحديد هذه الخصائص تحديداً حقيقياً ، لا يتم إلا في نهاية العلم ، بعد استعراض جميع النحل ومقارنتها ، واستنباط القدر المشترك بينها . ولكنه إذا تعذر علينا الآن . فعلينا أن نعرض الديانات أنفسها لنستخرج منها الحد الأدنى المشترك بينها ، وفي وسعنا أن نعرض طائفة من التعريفات التي سبقنا بها العلماء . سواء منها ما وضعه الإسلاميون لكلمة الدين ، وما وضعه الغربيون للكلمة التي تقابلها[2] .

أما الإسلاميون . فقد ذكروا للدين تعريفات ، مختلفة في ألفاظها ، متحدة في معناها . وهي :

١ ـ « الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل »[3] .

٢ ـ « الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات ، وإلى الخير في السلوك والمعاملات »[4] .

---

(١) الدكتور محمود مزروعة دراسات في الدين ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) ـ راجع الدكتور محمد دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٣٣ .

(٣) انظر التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ص ٥٠٣ . وراجع دائرة المعارف الإسلامية جـ ٩ ص ٣٦٨ .

(٤) راجع الدكتور محمد دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٣٤ .

٣ - « الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول »[١] .

٤ - « الدين وضع إلهي ، يحسن الله تعالى به ، إلى البشر ، على لسان واحد منهم ، لا كسب له فيه ، ولا صنع ، ولا يصل إليه بتلق ، ولا تعلم[٢] .

وعلينا أن نتناول التعريف الأول من هذه التعاريف بمزيد بيان . لأنه أشهرها وأشملها .

— « وضع » : أي موضوع . فهو مصدر بمعنى اسم المفعول . أي شيء موضوع بقطع النظر عن كونه حكماً أو غيره[٣] .

— « إلهي » : أي منسوب للإله . وهو الله تعالى . وخرج به الوضع البشري من القوانين وغيرها . فلا تسمى ديناً أو قانوناً إلهياً .

— « سائق » : أي باعث وحامل للمكلف أن يمتثل الأوامر ، ويترك النواهي . فالدين عقيدة وشريعة ، من وضع الله تعالى . وإنما ترك تفصيل الشريعة ، لذوي العقول السليمة ، من الأئمة المجتهدين .

— « لذوي العقول السليمة »: أي أصحاب العقول المتحررة من العبودية لغير الله تعالى .

— «باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل»: أي الحياة الآمنة ، والنعيم في الدنيا . والمراد به : سعادة النفس بالتمتع بالاستقرار والطمأنينة ، وما حلّ لها من الطيبات من متع الدنيا وزينتها . والسعادة الأبدية في الحياة الآخرة[٤] .

— وخرج بقوله : « وضع إلهي سائق » الوضع الإلّهي غير السائق ، كإنبات الأرض ، وإمطار السماء ، فإنها سائقة إلى إصلاح المعاش .

— وخرج بقولهم : « لذوي العقول السليمة » أصحاب العقول المريضة

(١) راجع الجرجاني التعريفات ص ٩٤ .
(٢) انظر محمد عبده تفسير المنار الجزء الثاني ص ٦٩ . .
(٣) - البيجوري . حاشية على جوهرة التوحيد ص ٨ .
(٤) الدكتور مبارك حسن حسين بحث في مقارنة الأديان ٧ ط مطبعة الأمانة بمصر ١٩٨٨م .

بالفكر المنحرف ، والمتطرف عن الدين الحق . .

ـ وخرج بقولهم : « سائق » ما يسوقهم وغيرهم من المخلوقات جميعها ، كالأوضاع الطبيعية ، التي تهتدي إليها وبها الكائنات ، في معاشها وحياتها . وهي الإلهامات التي تسوق كل مخلوق ، من الكائنات الحية ، إلى البحث عن معاشها ومنافعها ، كنسج العنكبوت ، واتخاذ النحل بيوتاً .

ـ وخرج بقولهم « باختيارهم » ما يساق إليه الإنسان بدافع الوجدان والغريزة ، كدافع غريزة الجوع والعطش . فإنهما يسوقان الإنسان إلى الماء والأكل قهراً لا اختياراً[1] .

ويلاحظ أن تعريف الإسلاميين للدين قاصر على الدين المنزل . وذلك لجعلهم كلمة « وضع إلهي » قيداً في جميع التعاريف . وكأنهم بذلك لا يسمون الأديان الطبيعية « الوضعية » أي التي قام الإنسان بوضعها بنفسه ، عن طريق عوامل إنسانية كالوثنية والبوذية ـ ديناً ، مع أن القرآن الكريم قد سماها بذلك . حيث قال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً** ﴾[2] . وقال ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾[3] . وذلك يرجع إلى أنهم قد قصروا التعريف على الدين الصحيح . وهو الدين المنزل . وأما الأديان الوضعية فهي ـ من وجهة نظرهم ـ باطلة كلها ، بغض النظر عن فحواها وغاياتها[4] .

هذا وقد اعتبر كثير من الإسلاميين : الدين ، والإسلام ، والملة ، والشريعة ، والمذهب . كلمات مترادفة . فتراهم يقولون : دين الإسلام ، وملة الإسلام ، وشريعة الإسلام ، ومذهب الإسلام[5] .

والحق أن الدين أعم من كل ذلك ، فهو أعم من الإسلام . إذ أن الإسلام دين ، وليس كل دين إسلاماً . وهو أعم من الملة والشريعة ، لأنهما

---

(١) ـ المصدر السابق ص ٧ .

(٢) سورة آل عمران . الآية رقم ٨٥ .

(٣) ـ سورة الكافرون . الآية رقم ٦ .

(٤) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك [الأديان دراسة تاريخية مقارنة] ص ٢٢ .

(٥) انظر المصدر السابق ص٢٢ . وراجع محمد علي ناصر [أصول الدين الإسلامي] ص ٤ والجرجاني [التعريفات] ص٩٤ .

إسم لما عدا العقائد من العبادات والمعاملات . والدين إسم للجميع . وهو أعم من المذهب ، لأن المذهب إسم لجملة من آراء اجتهادية ، استنبطها بعض مجتهدي المسلمين ، وعمل بها جمهور منهم كالمذاهب المعروفة[1] .

ويذكر بعض الباحثين : أن الإسلام سمي ملة . لأن الملك يمليه على الرسول ﷺ . والرسول يمليه علينا . وسمي شريعة من حيث أن الله شرعه لنا أي بينه لنا على لسان النبي ﷺ [2] .

هذا ما ذكره الإسلاميون ، وما يتعلق بتعريفات الإسلاميين . أما العلماء غير الإسلاميين فإنهم قد اختلفت عباراتهم في تعريف الدين ، تبعاً لاختلاف تخصصاتهم ، والجانب الذي نظروا من خلاله إلى الدين . وسوف نذكر نماذج من تعريفات هؤلاء العلماء .

– يقول سيسرون . في كتابه « عن القوانين » : « الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله » .

– ويقول كانت . في كتابه : « الدين في حدود العقل » : « الدين هو الشعور بواجباتنا ، من حيث كونها قائمة على أوامر إلٰهية » .

– ويقول شلايرماخر . في « مقالات عن الديانة » : « قوام حقيقة الدين . شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة » .

– ويقول الأب شاتل . في كتابه « قانون الإنسانية » : الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الإنسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه » .

– ويقول روبرت سبنسر في خاتمة كتاب : « المبادىء الأولية » : « الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية . هو العنصر الرئيسي في الدين » .

– ويقول تايلور في كتاب « المدنيات البدائية » : « الدين هو الإيمان بكائنات روحية » .

---

(١) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٢٢ .

(٢) انظر الدكتور مبارك حسن حسين بحث في مقارنة الأديان ص ٦ .

ـ ويقول ماكس ميلر في كتاب « نشأة الدين ونموه »: « الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائي . هو حب الله ».

ـ ويقول إميل برنوف . في « علم الديانات » : « الدين هو العبادة ، والعبادة عمل مزدوج . فهي عمل عقلي ، به يعترف الإنسان بقوة سامية ، وعمل قلبي ، أو انعطاف محبة ، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة » .

ـ ويقول ريفيل . في « مقدمة تاريخ الأديان » : « الدين هو توجيه الإنسان سلوكه ، وفقاً لشعوره بصلة بين روحه ، وبين روح خفية ، يعترف لها بالسلطان عليه ، وعلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها » .

ـ ويقول دور كايم . في « الصور الأولية للحياة الدينية » : « الدين هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة . اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة »[1] .

ـ ويقول سلفان بيريسيه : « الدين هو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية » .

ـ وأما موريس جاستروف . فقد وضع قواعد لتعريف الدين . هي :

١ ـ شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأناً . وغير مسخرة لهم .

٢ ـ اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة أو القوى .

٣ ـ سعي الناس إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة[2] .

وهناك تعريفات أخرى كثيرة ذكرها غير الإسلاميين ، وليس من شأننا أن نذكرها كلها . ويكفي ما وقع اختيارنا عليه من هذه التعريفات . والذي يستعرض تعريفات الدين ، لدى مختلف العلماء . يمكن أن يلحظ :

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة في تاريخ الأديان ص ٣٤ و ٣٥.

(٢) راجع العميد عبد الرازق محمد اسود المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب المجلد الأول ص ٢١ .

١ ـ أنه ليس في تلك التعريفات . تعريف جامع مانع للدين من حيث هو دين .

٢ ـ أن كل تعريف على حدة يحمل وجهاً أو أكثر من وجوه الصواب ، بصدد نقطة أو أكثر من نقاط الدين . وكل تعريف على حدة ، يشهد بنقص كل تعريف آخر على حدة[١] .

إن ظاهرة الدين أكثر تعقداً ، وتشابكاً ، وشمولاً ، لجوانب عديدة ، من أن تعرف تعريفاً مختصراً . ولذا يجب من البدء أن نفهم مصطلح الدين بأوسع معنى يتناسب مع استعماله التقليدي المأثور .

ومعنى ذلك . أن كل شيء يقع في نطاق الديانات الفعلية ، عبر التاريخ يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، عند فهم المدى الذي يتسع له هذا اللفظ ، كما يجب ألا نغفل في هذا الصدد أي عنصر نعتقد أهميته في الارتباط بهذه الظاهرة الجليلة[٢] .

وإذا أردنا أن نستخلص ـ بعد ذلك ـ القواعد التي يقوم عليها تعريف الدين من حيث هو . لوجدنا :

١ ـ أن مبدأ الألوهية ـ أي الاعتقاد بقوة أو قوة غيبية ـ هو أهم تلك القواعد التي لا بد أن يقوم عليها تعريف الدين .

٢ ـ والقاعدة الثانية التي يقوم عليها تعريف الدين هي : اعتقاد المتدين بوجود صلة له بهذه القوة أو القوى ، يدفعه ذلك إلى التوجه إليها في رغبة ورهبة ، ملتمساً عونها ، مؤملاً تحقيق رغباته ، وتأمين حاجاته .

٣ ـ والقاعدة الثالثة . هي سعي المتدين لتوثيق صلته بهذه القوة أو القوى . وذلك بخضوعه التام ، عن رغبة واختيار ، وتوجهه إليها بالتمجيد ، والتقديس ، والطاعة ، والعبادة[٣] .

---

(١) انظر رشدي عليان وسعدون الساموك ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة القسم الأول ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٣) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة القسم الأول ص ٢٣ و ٢٤ .

ويقول العلماء إن التعريف التام لماهية الدين هو : « الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار ، ولها تصرف وتدبير ، للشؤون التي تعني الإنسان . اعتقاد من شأنه ، أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة ، وفي خضوع وتمجيد »[1] .

وبعبارة موجزة : « الدين هو الإيمان بذات إلهية ، جديرة بالطاعة والعبادة »[2] .

وهذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية ، بمعنى التدين ، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية . فيمكن القول بأنه : « جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية ، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها »[3] .

---

(١) راجع الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٥٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٥٢ .

الإعتقاد شيء مركوز في النفس ، مستقر في قلب الإنسان . لا يستطيع إنسان أن ينكره . فالنفس أو الفطرة ، خلقها الله تعالى ، وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق . وإن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله ، فلن يستطيع أن يغير فطرته . قال تعالى : ﴿ **فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾[2] .

فعاطفة الاعتقاد أمر غريزي ، ومشترك بين الناس عامة ، في كل عصر ومكان . فإنه لم تخل جماعة من الناس ، في أي زمان من عقيدة دينية ، على نحو ما[3] .

وإن كل الأديان بلا استثناء ، تفصح بشتى الطرق ، عن حقيقة لا مناص من التسليم بها ، وعدم المحاجة فيها . . وهي أن الإنسان لا يقف ، ولا يمكن أن يقف وحيداً في هذا العالم . فهو في الواقع مرتبط من الناحية الحيوية الفعلية ، ومعتمد من الناحية الواقعية بقوة أو بقوى داخل وخارج الطبيعة

---

(١) سورة الروم . الآية رقم ٣٠ .

(٢) سورة الشمس . الآيات ٧ ـ ١٠ .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى الإسلام والحياة ص ٧ ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

والمجتمع . والإنسان يشعر في قرارة نفسه أنه ليس المركز المتوحد ، للقوة المستقلة القادرة ، على الصمود والوقوف ، وحيدة منفصلة ، عن هذا العالم . إن هذا الشعور لا يفلت منه أعتى العتاة ، ولا أطغى الطغاة ، ولا أسمى المحتلين ، لمراكز الجاه والسلطان ، مهما بدا هذا الإنسان ، في مثل هذا الجاه والسلطان الذي يشكل ستاراً رقيقاً سرعان ما تهتكه الخلوة أو الإنفراد[1] .

وفي هذه النقطة ، نقطة عدم استغناء الإنسان ، وإحساسه بالحاجة إلى غيره ، وشعوره بالإنتماء إلى قوة أو قوى خارجية ، وموقفه من الاعتماد على هذه القوة ، أو هذه القوى ، داخل المجتمع وخارجه ، وداخل الطبيعة وخارجها . نقول في هذه النقطة بالذات ، نجد الإطار أو المحور الذي تدور عليه عقيدة الإنسان ، تصوراً وفكراً ، ثم نزوعاً وميلاً ، ثم فعلاً وسلوكاً[2] .

فالإنسان لا غنى له عن الدين ، لأنه يحسه في نفسه شعوراً ووجداناً ، ويشير إلى هذا الشعور والوجدان . ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ . قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة »[3] . وفي آية يقول الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم . قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ﴾[4] .

ففي هذه الآية ، يبين الله تعالى ، أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم نسلاً بعد نسل ، على هيئة ذر . وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم . قائلاً لهم : ﴿ **ألست بربكم** ﴾ فأجابوا « بلى شهدنا » بذلك . فالله سبحانه وتعالى أشهدهم على ربوبيته ، حتى لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا

---

(١) الدكتور محمد كمال جعفر الإنسان والأديان ص ٢٣ ط دار الثقافة بالدوحة ١٩٨٥ م .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٣) رواه البخاري . كتاب الجنائز . باب إذا أسلم الصبي جـ ٣ ص ٢١٩ . ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٤) سورة الأعراف . الآية رقم ١٧٢ و ١٧٣ .

التوحيد غافلين أو غير عالمين[1] .

فطبيعة الإنسان فيها استعداد فطري لمعرفة الله . وهذه الفطرة مستأصلة في الإنسان ، وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه[2] .

ومن هنا كان الاعتقاد أمر لا بد منه ، وأن الدين الحق ، رحمة للناس جميعاً ، على اختلاف عقولهم ، وقدرتهم على التفكير ، وأنه هدى ونور ، وإن العلم لا يغني عنه شيئاً[3] .

فالاعتقاد أو الدين عنصر ضروري . والإنسانية بحاجة إليه ، للكمال النفسي والروحي . فالإنسان جسم وروح . والجسم يتغذى بالطعام والشراب ، بينما تتغذى الروح بالإيمان والعقيدة[4] .

ويرى ماكس موللر : أن الدين قوة من قوى النفس ، وخاصية من خواصها ، وأن البشر بتأثير هذه القوة ، وبأسماء ورموز مختلفة متعددة ، تأهبوا لإدراك الأسرار الغامضة ، وأن فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فطر عليها الإنسان ، منذ نشأته الأولى [5] .

ويرى كثيرون ومنهم « بنيامين كونستان » أحد مؤرخي الأديان : أن الدين من العوامل التي سيطرت على البشر ، وأن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة ، ومن المستحيل أن نتصور ماهية الأنسان دون أن تتبادر إلى ذهننا عقيدة الدين [6] .

ويقول الدكتور دراز : لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الحياة في الجماعة

---

(١) راجع ابن كثير تفسير القرآن العظيم . الجزء الثاني ص ٢٦٤ .

(٢) الدكتور سامي عفيفي حجازي العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ص ٥٣ .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى الإسلام والحياة ص ١٠ .
وراجع الدكتور أحمد السايح علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة ص ١٨ ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٩٠ م .

(٤) أنور الجندي منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ص ٣٩ .

(٥) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تأريخية مقارنة ص ٢٧ و ٢٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٨ .

لا قيام لها . إلا بالتعاون بين أعضائها . وأن هذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته . وأن هذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع ، يكفل مهابته في النفوس ، ويمنع انتهاك حرماته . تلك كلها مبادىء مقررة . وإنما الشأن كل الشأن في هذا السلطان النازع الوازع . والذي نريد أن نثبته هو أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها ، في كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه . ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته ، وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا عنقه ، ولا يجري في دمه ، ولا يسري في عضلاته وأعصابه . وإنما هو معنى إنساني روحاني . اسمه الدين والعقيدة[1] .

أجل . . إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ، ولا سلطان الحكومات ، بكافيين وحدهما ، لإقامة مدينة فاضلة ، تحترم فيها الحقوق ، وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل .

فإن الذي يؤدي واجبه ، رهبة من السوط أو السجن ، أو العقوبة المالية ، لا يلبث أن يهمله ، متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون . ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ، ضماناً للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي . ذلك أن العلم سلاح ذو حدين : يصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير ، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي ، يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض ، لا إلى نشر الشر والفساد . ذلكم الرقيب . هو الإيمان والعقيدة [2]. والإيمان على ضربين :

١ ـ إيمان بقيمة الفضيلة ، وكرامة الإنسانية ، وما إلى ذلك من المعاني المجردة ، التي تستحي النفوس العالية من مخالفة دواعيها ، ولو أعفيت من التبعات الخارجية ، والأجزية المادية .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٩ .

٢ ـ وإيمان بذات علوية ، رقيبة على السرار ، يستمد القانون سلطانه الأدبي من أمرها ونهيها ، وتلتهب المشاعر بالحياء منها أو بمحبتها أو بخشيتها ، ولا ريب أن هذا الضرب هو أقوى الضربين سلطاناً على النفس الإنسانية ، وهو أشدها مقاومة لأعاصير الهوى ، وتقلبات العواطف ، وأسرعهما نفاذاً في قلوب الخاصة والعامة . من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس ، على قواعد العدالة والنصفة . وكان لذلك ضرورة اجتماعية ، كما هو فطرة إنسانية[١] .

ويعتبر علماء الاجتماع الدين من أهم القواعد التي قام عليها بنيان المجتمع البشري ، وأنه قمة النماذج الخلقية المثالية ، التي تقبلها المجتمع لرسم العلاقات الاجتماعية ، على أسس إنسانية واقعية[٢] .

وإن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة . ليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك ، وتصحيح المعاملة ، وتطبيق قواعد العدل ، ومقاومة الفوضى والفساد . بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة . ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم . لا يعدله رباط آخر ، من الجنس ، أو اللغة ، أو الجوار ، أو المصالح المشتركة[٣] .

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٩٩ و ١٠٠ .
(٢) العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان وفلسفتها ص ٣٥ .
(٣) الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٠١ .



وبعد أن أشرنا ـ فيما سبق عرضه ـ إلى أن الدين حقيقة واقعية ، في حياة الأفراد ، وفي كل التجمعات الإنسانية ، على اختلاف مستوياتها الثقافية ، والحضارية . فإنه يجدر بنا أن نتعرف على أصل الدين ومصدره . . والباحث في هذا الموضوع يطالع الكثير من الآراء التي تختلف وتتشعب . ويمكن تحديد هذه الخلافات في اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول : وهو الاتجاه الذي يذهب إلى أن الدين مصدره ، فكر الإنسان ، ومبعثه من نفس الإنسان ، وحاجته ، وظروفه ، وبيئته . ومعنى هذا أن الإنسان . قد وصل إلى الدين بنفسه ، ولم يتلقاه من جهة خارج عالمه الحسي . ويسمى هذا الاتجاه . بالاتجاه الإنساني ، أو المذهب الوضعي[1] . والإنسان في نظر هذا الاتجاه هو مصدر الدين . فهو صانع الدين ، وخالقه ، ومبتدعه . وهو الذي تدين بتصرفه ، وفكره ، دون أن يكون هناك قوى خارجة عن بيئة الإنسان والإنسانية . أو بمعنى آخر . . دون أي تأثير بقوى خارج الطبيعة ، التي أعطيت ـ في نظر هذا الاتجاه ـ كل قدرة على الخلق ، والإبداع ، والتدبير[2] . ويقول أحد أصحاب هذا الاتجاه : ما أسرع ما تصلح

---

(١) راجع :ـ الدكتور عمارة نجيب الإنسان في ظل الأديان ص ٢٧ .

ـ الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٢٩ .

(٢) الدكتور عمارة نجيب الإنسان في ظل الأديان ص ٣٠ .

الطبيعة ما يحدث الإنسان فيها من عطب . إن جذ الإنسان شجرة ، وخلفها جذعاً دامياً . سارعت الطبيعة بنجدتها ، بكل ما لها من فنون الكيمياء ، لتستر ذلك الجذع الأبتر . في رفق بثوب جديد . وما تزال بها ، تضيف إليها ، اللفائف الخضراء ، حتى تعود آية تفتن عشاق الطبيعة من جديد[1] .

ويقول أحد أصحاب هذا الاتجاه : هذه الأرض التي أطؤها بأقدامي ، ليست كتلة من جسد موات . إنها جسد وروح. إنها كائن حي . إن للطبيعة أمعاءها . إنها أم الإنسانية . أبذر فيها البذور ، تترعرع نباتاً ، إن الطبيعة تبذل جهدها لتطعم الإنسان . . إنها تطعم العقل والجسم جميعاً ، فتغذي الخيال ، كما تغذي الجسد . إنها ليست جميلة في عين الشاعر وحده ، وليس الرائع من آياتها غروب الشمس ، وقوس قزح وكفى . بل لأنها تطعم وتلبس الثياب . وتأوي إلى مأواك . وتصطلى دفء المدفأة . كل ذلك آيات روائع ، وبواعث على الإلهام . منك نشأت مفاصلي وعظامي . أنا لك أيتها الشمس أخ شقيق ، وإلى هذا التراب سيعود جسدي جذلان فرحاً . سيعود إلى حيث بدأ . إنني منك نشأت وإليك أعود[2] .

وأنت ترى أن هؤلاء يرفضون صلة الإنسان بقوة أعلى من الطبيعة أو البيئة الطبيعية ، التي تمد الإنسان بكل الأخيلة ، والأفكار ، والمعتقدات . ويرى أصحاب هذا الاتجاه : أن كل الأديان صنعها الإنسان وصاغها تبعاً لحاجته وظروفه وبيئته .

يقول هنري برجسون : « والواقع أن الطبيعة . قد وهبت الإنسان ملكة خاصة تشبه الخيال من بعض الوجوه . . تلك هي الوظيفة الأسطورية أو الملكة الخرافية ، التي بمقتضاها يستطيع الإنسان أن يخترع شخصيات خيالية ، وهذه الشخصيات قد تكون أرواحاً ، بادىء الأمر. ثم تتحول إلى آلهة فيما بعد »[3] .

---

(١) راجع الدكتور عمارة نجيب الإنسان في ظل الأديان ص ٣٠ .
(٢) راجع المصدر السابق ص ٣٠ .
وانظر كذلك عبد الكريم الخطيب قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ص ١٨٩ .
(٣) راجع عبد الكريم الخطيب قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ص ١٨٩ .

الاتجاه الثاني : ويرى أصحابه أن أصل الدين ومصدره : الوحي الإلهي من القوة العليا الخالقة لهذا الكون والمسيطرة عليه. بمعنى أن الله قد أوحى به إلى عباده ، بواسطة من يختارهم للتعليم والهداية . ويسمى هذا الاتجاه « بالاتجاه التعليمي » أو « مذهب الوحي » ، وقد يسمى بالنظرية الكلامية أو اللاهوتية أو النقلية . وكلها تعني أن الدين موحى به من عند الله ، وليس من وضع إنسان[1] . وهذا رأي العلماء بأديان سماوية ، خاصة علماء اليهودية ، والمسيحية والإسلام . وهذه النظرية تستند إلى المذهب الموروث عن طريق الوحي . وتضع في الاعتبار دقة الصانع وحكمته وقدرته ، وكمال الإنسان وعلو مرتبته في الخلق ، وعلاقته الخاصة مع الله .

وعند التدقيق في حقيقة هذه النظرية المنسوبة إلى الكلاميين أو اللاهوتيين في ضوء التطورات الحديثة في الغرب . نجد أن المحدثين من هؤلاء ـ وهم يسمون بأصحاب الاتجاه الثيولوجي الحديث ـ يشكون في فكرة الوحي الأولى من الله للإنسان . ويشكون في نضج وصحة الديانات في العصور المغرقة في القدم . ولكنهم لا يشكون في أن الله أودع في الإنسان مبدأ الوعي ، والفهم ، والاتصال . ومن ثم كان الدين في حالته الناضجة مثلاً لكفاح الإنسان ، وبخاصة في استخدام ما أودعه الله من وسائل الاتصال به ومعرفته والتعبد له . وهم لذلك يصفون الإنسان الأول بصفات تنم عن السذاجة[2] .

ويرى أمثال هؤلاء أن موقفهم يحقق شيئين هامين : فهو من جهة يفي بمقتضيات قانون التطور الذي يبدأ من البسيط إلى المركب . وهو من جهة أخرى يعترف بالألوهية وعلاقتها بالخلق ـ على الأقل ـ في نقطة تزويد الإنسان بالوسائل الضرورية الكافية لإدراك خالقه ، والتصرف في شؤون حياته[3] .

وقد نلمح في هذا الموقف شبهاً واضحاً بموقف المفسرين العقليين

---

(١) راجع الدكتور عمارة نجيب الإنسان في ظل الأديان ص ٢٦ .

وانظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٢٩ .

(٢) راجع الدكتور محمد كمال جعفر الإنسان والأديان ص ٧٩ .

(٣) راجع المصدر السابق ص ٨٠ .

الإسلاميين ، لآية الميثاق الواردة في القرآن الكريم ، في سورة الأعراف[1] ، حيث يرى هؤلاء العقليون أن الميثاق الذي أخذه الله على الخلائق ، في مرتبة الذر . إنما قصد به الإشارة إلى أنه سبحانه وتعالى قد وضع في الإنسان مبدأ التعقل والتمييز ، الذي يدرك به إلهه وخالقه ، إذا كان سليم الفطرة ، نزيهاً في أحكامه . فلما وضع الله فيه هذه الميزة المبصرة ، كأنه أشهده على نفسه ، حيث قطع عليه الحجة ، بإعطائه وسيلة إدراك هذه الحقيقة الواضحة ، وهي أنه عبد ، وأن له رباً خلقه[2] .

---

(١) وهي قوله تعالى : **﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم . قالوا بلى شهدنا ﴾** (سورة الأعراف . الآية رقم ١٧١)

(٢) راجع الدكتور محمد كمال جعفر الإنسان والأديان ص ٨٠ .

لقد عرفنا : أن هناك اتجاهاً يـرى أن الإنسان هـو الذي أنشـأ الدين في الأرض . ويرى أصحاب هذا الاتجاه . أن الدين قد وصل إليه الإنسان بنفسه ، عن طريق عوامـل إنسانيـة ، سواء أكـانت تلك العوامـل من نوع المـلاحظات والتـأمـلات الفـرديـة ، أم من نـوع التـأثيــرات ، والضـرورات الاجتمــاعيـة اللاشعـورية[1] . والباحث في النشأة ، لا يبحث عن منشأ هذه الضرورة الكامنة في العقل الباطن . وإنمـا يبحث عن العوامـل والملابسـات التي قد تكـون قد رفعت هـذه الحقيقة إلى الـوعي المتيقظ ، وحـولتهـا إلى فكـرة حيـة ، ملهبـة للمشاعر ، وطبعت موضوعها بطابع خاص ، يجعله ذاتـاً علوية ، تتـوجه إليهـا القلوب ، بالرغبة والرهبة ، والدعاء والخضوع .

وجمهور الباحثين في هذه المسألة ، يفهمون من كلمة نشأة الدين الصورة التي ظهـرت فيها الأديـان أول ما ظهـرت في الوجـود . فالأوليـة التي يريـدون تقريرها ، ليست أولية في الترتيب المنطقي فحسب ، كتقـدم المقدمـات على النتائج ، وليست أولية تاريخيـة نسبية[2] . بـل هي أولية زمـانية مـطلقة تقتـرن بظهور الإنسان على هذا الكوكب[3] .

---

(١) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسـة تأريخية مقارنة ص ٢٩ .

(٢) أعني بالإضافة إلى العصور المعروفة « دراز : الدين ص ١٠٦ » .

(٣) الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٠٦ .

والمنهج الذي سلكه الباحثون للوصول إلى دعـواهم ، هو دراسـة أديان المجتمعات القديمة والمعاصرة المتخلفة في الحضـارة ، مستخدمين الـطريقة القياسية القديمة في استنتاج أقدم مظهر معـروف من مظاهـر التفكير الـديني ، وخلصوا إلى أنه يعتبر صورة مطابقة ، لديانـة الإنسان الأولى . وأصحـاب هذا الاتجاه ، وإن اتفقوا في الغـاية : وهي تحـديد نشـأة الدين ، والمنهـج . وهو دراسة التجمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة غير المتحضرة . إلا أن النتـائج التي توصلوا إليها ، جـاءت متفاوتـة جدًّا . بـل مختلفة جـداً[1] . ولذا انقسم الباحثون في هذا الاتجاه إلى فريقين :

ـ فـريق منهم . يذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنيـة ، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال ، حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد . كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته . حتى زعم بعضهـم أن عقيدة « الإله الواحد » عقيدة جد حـديثة ، وأنهـا وليدة عقليـة خاصـة بالجنس السامي[2] .

هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب التطور التقـدمي أو التصاعـدي، الذي ساد في أوروبا ، في القرن التاسع عشر ، في أكثر من فرع من فروع العلوم . وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان ، عدد من العلماء ، منهم سبنسر ، وتيلور ، وفريزر ، ودوركايم ، وغيرهم . وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها[3] .

ـ وفـريق آخر يقـرر بـالـطرق العلميـة بـطلان هـذا المـذهـب ، ويثبت بالعكس : أن عقيدة الخالق الأكبر ، هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، مستدلين بأنه لم ينفـك عنها مجتمـع من المجتمعات الإنسـانية في القـديم والحديث ، وتوصلوا إلى أن الوثنية ليست سوى أعراض طارئة . .

وهذه النظرية تسمى : (التوحيد الفطري أو البـدائي) ، وقد انتصـر لها كثير من علماء الأجنـاس ، وعلماء الإنسـان ، وعلماء النفس ، ومن أشهـرهم

---

(١) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٠ .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٧ وانظر فريزر الغصن الذهبي جـ ١ ص ٢٥ .

« لانج » الذي أثبت وجـود عقيدة « الإلـه الأعلى أو إله السمـاء » عند القبـائل الهمجية في أستراليا ، وإفريقيا ، وأمريكا . . ومنهم « شريدر » الذي أثبتها عند الأجنـاس الآرية القـديمة . و « بـروكلمان » الـذي وجدهـا عند السـاميين قبل الإسلام و « لرواه » و « كاتر فاج » عند أقزام أواسط إفريقيا . و « شميدث » عند الأقزام ، وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية . وقد انتهى بحث « شميدث » هذا إلى أن فكرة « الإله الأعظم » توجد عند جميع الشعوب الذين يعـدون من أقدم الأجناس الإنسانية[1] .

ويمكن أن نخلص من هذا . إلى أن أصحاب « المـذهب الوضعي » أو الاتجاه الإنساني متفقـون على أن أصل الـدين إنساني ، ولكنهم افتـرقوا بعـد ذلك . .

ففريق منهم بنى نظرياته في أصل الدين على أسـاس « مذهب التـطور » وقالوا : بتطوير الدين من الخرافة إلى التوحيد .

وفـريق آخر : ذهب إلى نـظرية التـوحيد . وقـالـوا إن الخـرافـة عـرض طارىء ، ومرض متطفل[2] .

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز :الدين بحوث ممهدة لدراسة تـاريخ الأديـان ص ١٠٧ و ١٠٨ .

(٢) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣١ .



يـرى أصحاب هـذه النظريـة ، أن الدين أول محـاولة ، قـام بها العقـل الإنساني ، لتفسير ظواهر الـطبيعة ، وخصـوصاً تلك الـظواهر ، التي تثيـر في النفس العجب ، والدهشة ، أو الخوف والرهبة[1] . . .

وقد كان لهذه النظرية مقام ممتاز ، في النصف الثاني من القرن التاسـع عشر ، وقد أشبعها أصحابها بحثاً وتدقيقاً ، وما أن حل القرن العشرون ، حتى أخـذت هذه النـظرية تتهـافت أمام البحـوث الشيقة البـاحثة عن الـروحيـة أولاً والتوتمية ثانياً[2] . وأصحاب نظرية عبادة مظاهر الـطبيعة أو المـذهـب الطبيعي فريقان :

ـ فريق يرى أن العامل الأول ، في إثارة الفكرة الدينية ، كان هو النظر في مشاهد الـطبيعة ، ولا سيمـا الأفلاك والعنـاصر . ذلـك أن التأمـل في هذا المجال غير المتناهي ، يجعل الإنسان ، يشعر بأنه محوط من كل جانب ، بقوة ساحقة غلابة ، قوة مستقلة عن إرادة البشر ، يخضع الجميع لتأثيرها ، ولا قدرة لهم على تحويل سيرها ، أو تعديل نظامها . فيجتمع له من ذلـك شعور مؤلف

(١) ـ انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون السـاموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣١ .
(٢) ـ راجع المصدر السابق . هامش ص ٣١ .

من دهشة وإعجاب[1] . ولشدة نفوذ الطبيعة وتأثيرها في نفسه ، نبهت فيه فكرة الدين فعبد الطبيعة[2] . .

ــ وفريق آخر ، وعلى رأسه العالم الإنجليزي « جيفونس » يرى أن النظر في مشاهد كان على الجملة هو منشأ العقيدة الإلهية . ولكنه يقرر في كتابه : « المدخل إلى تاريخ الديانات »: أن الظواهر الطبيعية العادية ، لا تكفي في إيقاظ هذه الفكرة ، لأنها لتكرر عرضها على الحواس ، تألفها النفس . فلا تحتاج إلى التماس تفسيرها . أما الحوادث الأرضية المفاجئة . والعوارض السماوية النادرة ، التي يضطرب بها النظام العادي ، كالبرق ، والرعد ، والعواصف ، والصواعق ، والخسوف ، والطوفان ، والزلازل . . فإن تأثيرها على المشاعر ، كتأثير دق الجرس ، في تنبيه الغافل ، وإيقاظ الوسنان . ذلك أنه قد ارتكز في الغرائز البشرية والحيوانية معاً ، استحالة أن يحدث شيء من لا شيء ، حتى أن الطيور والدواب ، لتفزع عند سماع صوت مزعج ، وتلتفت إلى جهة الصوت ، شعوراً بأن له فاعلاً . فكان من الطبيعي أن هذه الحوادث الفجائية الرهيبة تزعج من يشهدها ، وتحفزه إلى السؤال عن مصدرها . وإذا كان لا يرى لها سبباً ظاهراً ، اضطر عقلياً أن ينسبها إلى سبب خفي ، ذي قوة هائلة[3] . هذه القوة هي التي تسير العالم ، ولا بد من العمل على إرضائها بتقديم الهدايا ، والقرابين ، والأضاحي[4] .

---

(١) ـ راجع الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٤٤ .

(٢) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣١ .

(٣) الدكتور محمد عبد الله دراز :الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٢٥ ، ١٢٦ والدكتور طه الخشاب ، الاجتماع الديني ص ١٠٤ .

(٤) راجع العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ٧١ ، وراجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٢ .

ظهرت تفاسير تشرح كيفية تولد العقيدة الإلّهية عند النظر في صحيفة الكون المادي . ولذلك اشتهرت تسمية هذه التفاسير بالمذهب الطبيعي ، حتى نسب إليها القول ، بأن العبادة الأولى : كانت عبادة الطبيعة .

وفي المقابل وجدت نظرية ، اشتهرت تسميتها بالمذهب الحيوي . ونسب إليها . أن الأصل كان عبادة أرواح الموتى .

ومما يجدر أن يلاحظ ويعرف . أن العبادة توجه دائماً إلى مبدأ روحي غير مادي . ولما كانت الديانة بمعناها الحقيقي لا توجد إلا حيث يوجد اعتقاد بكائنات حية عاقلة فعالة ، يتوجه إليها بالعبادة . . لزم السؤال عن سبب هذا التطور الفكري : من النظر في مشاهد الطبيعة ، إلى التفكير في تلك الكائنات الحية .

مقرر نظرية المذهب الطبيعي ، العالم الألماني « ماكس ميلر »، يجيب بأن هذا من أثر اللغات نفسها ، لأنها في العادة تنسب لكل ظاهرة فعلاً ، يشبه أفعال الإنسان . على أنه من الصواب أن يقال في تفسير هذه النقلة : أنه انتقال من الكائن إلى المكون . وهو انتقال معنوي . فكما أن الناظر في جمال أثر فني ، لا يقدر أن يمنع نفسه من التفكير في ذوق الفنان . والناظر في دقة الآلة المركبة ينتقل فكره توًا إلى مهارة المهندس . كذلك المتأمل في عظمة البدائع الكونية ، ينساق بطبيعته إلى التفكر في عظمة القوة العاقلة التي تدبرها . وإذا

كانت تلك النظرة الأسطورية التي تستنطق الجماد وتعتقد أن في جوفه روحاً عاقلة ، ليست عقلية ، ولا دينية . فهذه النظرة الاستنتاجية على عكس ذلك دينية منطقية معاً . ذلك أن العقل الإنساني لا يكاد يتصور أن جمادات لا روح فيها ولا شعور . . يمكن أن تتحرك بنفسها ، وتنتقل في أوضاع منظمة ، بين أجرام أخرى ، متحركة . بحركات منظمة ، مباينة لها على أبعاد محددة ، وبطريقة مؤدية إلى غايات معقولة ، من غير أن تكون مدفوعة مباشرة أو من طريق غير مباشر ، بشيء ذي إرادة وشعور ، يحركها وينقلها في تلك الأوضاع على حساب ثابت دقيق[1] .

إذن « ماكس ميلر » رئيس المذهب الطبيعي ، يذهب إلى أن النظرة في عجائب الأفلاك والعناصر ، لا تلبث أن تنتقل من قواها الطبيعية إلى قوى روحية ، ذات شخصية إرادية . ولا يخفى أنه لولا هذه النقلة ، ما كانت عبادة الطبيعة تدخل في موضوع الأديان .

وبينما يرى المذهب الطبيعي أن هذه القوة أو القوى الروحية ، المسيطرة على العالم . إنما جاء الاعتقاد بها من طريق الحدس أو التأمل في عالم المادة ، استرشاداً بعظمة الصنعة ومعقوليتها ، على مهارة صانعها وعاقليته ، كما يستدل على وجود قوة عاقلة في الإنسان . بمشاهدة آثارها المنظمة في الأقوال والأفعال ، من غير أن يبصر أحد تلك القوة أو يلمسها . يرى المذهب الحيوي المقابل للمذهب الطبيعي : أن الاعتقاد في تلك الروح أو الأرواح الفعالة ، يستند إلى تجارب مباشرة في البيئة الإنسانية . فالانتقال في المذهب الطبيعي انتقال من مادة إلى روح . والانتقال في المذهب الحيوي انتقال من روح إلى روح[2] .

ونظرية المذهب الحيوي أو النظرية الروحية ، قررها « تيلور » في كتاب

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١١٦ .

(٢) - انظر الدكتور محمد عبد الله دراز [الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان] ص ١٢٧ و ١٢٨ . . بتصرف واختصار .

« المدنية البدائية » وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الإنجليزي « هربرت سبنسر » في كتاب « مبادىء علم الاجتماع » .

ولا يخفى أنه ليس المقصود بالروح هنا حسبما يوحي به التعبير . مبدأ الحياة الحيوانية . أعني تلك القوة التي تقوم عليها وظائف النمو ، والتنفس ، والحس ، والحركة ، بل المقصود نوع آخر أسمى من ذلك . هو مبدأ حياة التفكير ، والإرادة المنظمة ، والعاطفة ، والضمير ، وبالجملة مبدأ الحياة العاقلة الرفيعة .

وقد بين « تايلور » صاحب النظرية الروحية ، كيف تنبه البشر إلى الروح ، واعتقد بأن للموجودات الأخرى ـ حيوانات كانت أم جماداً ـ أرواحاً . وإن تلك الأرواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس ، وأن جميع ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق ، أو من آلام ومصائب . إنما يرجع إلى تلك الأرواح أو العالم الروحي .

ولما كان لهذه الأرواح قوة وقدرة ، وأصبح بينها قوى الصحة ، والمرض ، والسعادة ، والشقاء . أصبح الإنسان ملزماً بأن يرضيها ، وأن يتخلص من غضبها ، وأن يتقرب إليها ، بالقرابين ، والأضحية ، والصلوات[1] .

وإن أهم مرحلة مر بها الإنسان في طريقه إلى التدين ، كانت هي مرحلة الإيمان بالروح . فإيمان الإنسان بالروح ـ عند فريق من الباحثين الغربيين ـ كان المرحلة الحاسمة ، في تاريخ التدين . لأنها المرحلة التي انتقل بها من الايمان بما يحس ويلمس ، إلى الإيمان بقوى خفية ، وعالم غيبي لا تدركه الأبصار[2] . ولم يكن في طاقة الإنسان ، أن يفهم الروح ، فهماً أصح من هذا الفهم ، في ظلمات الجاهلية ، وعثرات النظر بين غياهب تلك الظلمات . فكان ينام ويرى أنه كان يعدو ويرقص ، ويأكل ويشرب ويقاتل في منامه . ثم

---

(١) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٢ .

(٢) ـ راجع الدكتور أحمد السايح [العقاد وفلسفته الإسلامية] ص ٣١ط دار اللواء بالسعودية ١٩٨٩م .

يستيقظ فإذا هو في مكانه ، لم ينتقل منه قيد خطوة إلى مكان غيره . فيقع في حدسه أنه فعل ذلك بالروح الذي يسكن جسده ، ويتركه أو يعود إليه حين يريد . . وكان يرى الموتى في منامه ، فيحسبهم أحياء يتحركون مثله ، كما تحرك بروحه وهو نائم بجسده . وراقب الموتى فرأى أنهم يفقدون النفس حين يموتون . فوقع في حدسه من ذاك ، أن النفس هو الروح المفارق للأجساد ، في حالة الموت[1] . ومن ثم فقد وقر في ذهن الإنسان ، أن الأحياء حين يموتون لا يفنون بالكلية . ولا تنتهي صلتهم بهذا العالم جملة . وإنما هم ينتقلون بالموت من دار إلى دار ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، ومن طبيعة إلى طبيعة . وإنما هم بالموت إنما يتخلصون من جسدهم ، وينتقلون إلى عالم آخر ، يعيشون فيه ، متحررين من المادة . . ولكن إذا كان الأموات قد تركوا أجسادهم وخلفوها من ورائهم، فكيف يزاولون حياتهم الجديدة بدونها ؟ وبأي علة يمكن أن تعلل ذلك ؟ لم يكن الإنسان الأول بطبيعة الحال ، عنده علم ، عن العقل الباطن أو اللا شعور وما يمكن أن يفيض من هذا العقل ، أو من اللا شعور ، أثناء انحلال رابطة العقل الواعي ، أو الشعور عند النوم ، من صور وخيالات مخزونة ، ورغبات مكبوتة . ولذلك فقد علل الإنسان هذه الأمور العجيبة التي يراها في أحلامه بفكرة الروح ، معتقداً أن هناك خلاف الجسد الذي نحيا فيه حياتنا هذه ، كائناً آخر ، يمكن أن نزاول به أمور حياتنا . هذا الكائن هو الروح[2] .

ولقد رأى الإنسان أن الموت ، يختطف من حوله فجأة ، فينتقلون من خضم الحياة الحافل ، إلى خمود الموت الساكن ، فينقطع اتصالهم بمن حولهم ، ويصبحون في لحظة واحدة ، جثثاً خامدة ، لا تجيب ولا تستجيب ، وبين ذهابهم عنه ، وخروجهم من عالمه . توصل الإنسان إلى فكرة الروح . فاعتقد أن الأموات لا يفنون بالكلية . وإنما هم ينتقلون إلى عالم جديد ، يزاولون فيه حياتهم . وكيف يزاولونها ، وقد خلفوا الجسد ؟ والحل والإجابة ،

---

(١) عباد محمود العقاد كتاب الله ص ٤٠ ط دار الكتاب اللبناني بيروت .
(٢) الدكتور محمود محمد مزروعة « الدين وحاجة الإنسانية إليه » ص ٣٣ بتصرف رسالة دكتوراه .

يكمن في فكرة الروح . . ولقد نظر الإنسـان فوجـد أن الحي حين يموت ، لا يفقد شيئاً ، إلا توقف نفسه عن الدخول والخروج . فذهب إلى أن ذلك النفس هو الروح ، أو أن له علاقة كبيرة بالروح ، فهو منها ، وهي منه . وهناك ارتباط كبير بين النفس والروح[1] .

فحالات النوم واليقظة ـ كما يقول « تايلور » ـ كانتا سبباً في تنبيه البشر إلى الروح . فعندما كان الإنسان ينام يتصور أصحابه أنه مات ، وعندما يستقيظ يظن بأن قوة خفية ما أحيته . وحيث أن الجسد لا يتغير في النوم أو اليقـظة ، وإنما هناك شيء خفي يحركه . فلا بد أن يكون ذلك الشيء منفصلاً ومختلفاً عنه ، وذلـك الشيء هو النفس . وهـذه النفس رغم قـدرتهـا المـاديـة ، لا يمكن أن نلمسها أو نحسها . ومع ذلك لا يمكن أن نعتبر النفس الإنسانية عند هذا الحد روحاً ، لأنها متصلة بالجسد ، ولا تخـرج منه إلا نـادراً . وإذا لم تكن النفس الإنسانية شيئاً أكثر من ذلك ، فإنها لا تعبد . وإنما تعبد وتصبح مقدسة بتحولها إلى روح ، بعد أن تبتعد عن مكـانها في الجسـد . ولا يستطيـع الإنسان ، أن يتصل بها إلا بمراعاة طقوس خاصة ، والنفس لا تصبح روحـاً . إلا في حالـة الموت ، والموت هو انفصال النفس عن الجسد انفصالاً أبدياً[2] . .

وإذا كان الموت هو الذي حول النفس الإنسانية ، إلى روح مقدسة ، فإن أول عبادة إنسانية في تطور « تايلور » إنما اتجهت إلى عبـادة الموتى أي عبـادة نفـوس الأسلاف . وكـانت الطقـوس الأولى ، طقوسـاً للموت . وكـانت أولى القرابين ، قرابين غذائية ، تشبع حاجات الموتى ، وكانت أولى المذابـح التي تقدم عليها هذه القرابين ، هي القبور واللحود[3] .

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٤ وانظر الدكتور أحمد السايح . العقاد وفلسفته الإسلاميـة ص ٣٣ .

(٢) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٣ .

(٣) ـ راجع :
ـ الدكتور الخشاب الاجتماع الديني ص ١١١ .
ـ والعميد الهاشمي تاريخ الأديان ص ٥٨ ـ ٦٥ .
ـ د / رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٣ .

ذكر العلامة « دوركايم »: أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس في بداية نشأتها ، قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها . وأن ذلك إنما يكون بيئات الأمم « البدائية ». وهي في نظر « دوركايم » تلك الأمم التي لا تتميز فيها الأسر الخاصة بخاصة مستقلة . بل تقوم على نظام القبائل ، والفصائل ، والعشائر . . ومعروف أن العشائر ـ وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات ـ قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها . وهو لقب يشتق في الغالب من إسم حيوان ، أو نبات . وفي النادر من اسم عنصري جمادي ، أو كوكب من الكواكب[1] .

وتعتقد العشيرة أن لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة ، حيوية أو روحية . إما على أنها تسلسلت عنه ، أو أنه كان حليفاً أو حارساً ، لجدها الأعلى ، أو نحو ذلك . ولذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها ، وأدواتها ، وأسلحتها ، وراياتها . بل يتخذ الأفراد منه وشماً يطبعونه على أجسامهم . كأنه بطاقة شخصية . لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته[2] .

وهذا النظام يسمى نظام « التوتيم » أو اللقب الأسري . والتوتيم مأخوذ

---

(١) ـ انظر الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٥٠ و ١٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥١ .

من لغة الهنود الحمر ، في امريكا الشمالية . وهو اسم يفسر تارة ، بمعنى موطن العشيرة ومستقرها ، وتارة بمعنى العلامة والشعار [١] .

إذن التوتم هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها ، سواء أكان مستمداً من المملكة الحيوانية ، أم النباتية ، أم القوى الطبيعية ، أم الجماد . وأهم العناصر في التوتمية ، أن أفراد العشيرة ، يعتقدون أنهم منحدرون فعلاً من هذا التوتم . فهو الأصل في وجودهم ، ويترتب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس التوتم ، يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم[٢] .

ونظام التوتم معروف في الشعوب القديمة : المصرية ، والأثيوبية ، والعربية ، واليونانية ، والرومانية ، والغالية . وتوجد آثار منه في الأساطير الشعبية في أوروبا كما في مدينة « برن » بسويسرا ، حيث تعظم الفيلة ، وكلمة (برن) أصلها في الألمانية جمع بير بمعنى فيل[٣] .

ويذكر أهل الدراسة : أن هذا النظام التوتمي ، لا يزال منتشراً ، في القبائل غير المتحضرة ، في امريكا ، واستراليا . وهذه الأخيرة ـ فيما يعتقد « دوركايم » هي أخصب مكان لدراسة هذه الظاهرة . لأن سكانها أقل تطوراً ، وأقرب إلى الطبيعة الأولى . من غيرهم . ولذلك استمد منها الوقائع التي بنى عليها نظريته[٤] .

وخلاصة هذه الوقائع . أن تلك الأمم في تعظيمها لألقابها ، تعظم في الوقت نفسه مسمى تلك الألقاب . ولما كان الاسم مشتركاً بين الحيوان ، وبين الجد الأعلى ، وبين أفراد العشيرة . وكانت الصلة بين هذه المعاني الثلاثة في نظرها ، صلة تجانس تام ترجعها إلى جوهر واحد ، شمل التعظيم ثلاثتها. لكن الحظ الأكبر من التعظيم يدخرونه لهذا الاسم المشترك . أو لتلك الصورة الجامعة . وهي الوسم أو الوشم . حتى إنهم نسبوا إلى هذه الصورة ، خصائص

---

(١) ـ هامش المصدر السابق ص ١٥١ .

(٢) ـ انظر العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ٨١ والخشاب الاجتماع الديني ص ١٢٠ .

(٣) راجع الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٥١ .

(٤) راجع المصدر السابق ص ١٥١ .

عجيبة . فزعموا أن الذي يحملها ينصر في الحرب على أعدائه ، ويوفق في تسديد السهم إلى رميته . وإن وضعها على القروح ، يسرع في التئامها . إلى غير ذلك[1] .

ومعنى هذا أن القرابة ، لا تقوم على أساس وحدة الدم ، وإنما يرتبط أفراد القبيلة ، بوحدة قرابة اصطلاحية معنوية ، تقوم على أساس اشتراكهم في اتخاذ « التوتم » اسماً لهم ، واتحادهم في النظم الاجتماعية ، واشتراكهم في نفس العادات ، والتقاليد ، والطقوس الدينية ، التي يلتزمون بأدائها نحو التوتم . وتقوم الديانة التوتمية ، على أساس تقديس توتم العشيرة ، تقديساً يحرم لمسه إذا كان جماداً ، إلا في مناسبات دينية ، خاصة ، بقصد التبرك ، وقضاء حاجات المجتمع ، والتكفير عن خطيئة ، أو رفع كارثة ، أحاطت بالمجتمع ، كما يحرم قتله ، أو صيده . إن كان من الفصيلة الحيوانية ، ويحرم أكله أو قطفه ، إن كان من المملكة النباتية[2] .

ومما يحسن أن نعرفه . أن هذا التقديس لا يصل إلى درجة العبادة . ولا يوحي فكرة التدين ، والتقديس ، والتأليه . ولذلك يقضون جل أوقاتهم في حياة فاترة ، كل يسعى لقوته ، منعزلاً في الجبل للاحتطاب ، أو على شاطىء البركة للصيد . وليس لهم مظهر من مظاهر التدين ، في هذه الأحوال العادية ، سوى التورع عن بعض المحظورات . وإنما يأخذ التدين حقيقته ، ومظهره التام ، عندهم ، في مواسم خاصة ، تقام فيها الحفلات المرحة الصاخبة ، التي يطلقون فيها العنان لحركاتهم العنيفة ، وصيحاتهم المنكرة . على إيقاع الطبول ، ولحن المزامير . وقد ركزوا السارية التي تحمل علم العشيرة ، في سدة الحفل . فينتهي بهم هذا الحماس الصاخب ، إلى الذهول والهذيان . بل يفضي بهم إلى انتهاك سياج المحرمات الجنسية ، التي يحترمونها أشد

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٢) ـ راجع :

ـ الخشاب الاجتماع الديني ص ١٢٠ .

ـ والعميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ٨١ .

ـ ودكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٣ .

الاحترام في العادة ، وربما نسبوا هذا التطور العجيب إلى حضور سر الأجداد فيهم عن طريق هذا الرمز . وعبادتهم للروح التي يرمز إليها . ظناً منهم أنها هي التي أحدثت فيهم هذا التحول الروحي الغريب[1] . ها هنا . وها هنا فقط . تتدخل النظرية لتكشف الغشاوة عن أعينهم ، وتنبههم إلى ما حدث ، من تحول شعورهم ، عن منبعه وهدفه ، الحقيقيين . وأنهم إذا كانوا يتوجهون بعبادتهم إلى مصدر هذا الأثر الجديد . فليعلموا أنه ليس هو النصب ، ولا ما يرمز إليه النصب . وإنما هو هذا الاجتماع الثائر نفسه . . فإن من طبيعة هذه الاجتماعات أن تنسلخ النفوس فيها عن مشخصاتها الفردية ، وتنمحي كلها في شخصية واحدة ، هي شخصية الجماعة . وهكذا يكون الاجتماع هو مبدأ التدين وغايته . وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر[2] . .

وتفيد الدراسات والبحوث : أن كلمة « توتم » وردت لأول مرة سنة ١٧٩١م في كتاب نشره « لونج » ـ كاتب هندي امريكي ـ أثناء كلامه عن النظم الدينية ، للهنود الحمر الأمريكان . وقد كان المعلوم أن القبائل الهندية الأصلية في أمريكا . تمثل أقدم وأبسط المجتمعات البشرية . ولما كانت هذه المجتمعات تدين بالتوتمية استنتج أصحاب النظرية التوتمية . أن هذه الديانة أقدم الديانات البشرية بوجه عام [4] .

وقام عالم آخر « غري » ببحوث عدة في أستراليا ، وانتهى من بحوثه هذه ، إلى وجود عبادات ، وطقوس دينية ، توتمية ، عند السكان الأصليين في أستراليا . وقد ذهب « دور كايم » ـ العالم الاجتماعي الفرنسي ـ إلى أن

---

(١) ـ راجع الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٥٢ .

(٢) ـ المصدر السابق ص ١٥٢ و١٥٣ . . وانظر كذلك الدكتور رؤوف شلبي التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص ٥٥ ط دار الثقافة بالدوحة بدون تاريخ .

(٣) ـ راجع :
- ـ العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ٨١ .
- ـ والخشاب الإجتماع الديني ص ١٢٠ .
- ـ ود / رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٤ .

التوتمية أقدم الأديان على الإطلاق ، وأنها أصل الأديان البدائية الأخرى ، وأنها متصلة اتصالاً وثيقاً ، بكل تكوين اجتماعي ، تكون العشيرة أساسه . بل إن العشيرة في أبسط صورها لا يمكن أن توجد بدون التوتم ، لأن أفراد العشيرة لا يكونون عشيرتهم على أساس المعاشرة والسكنى أو صلة الدم . وإنما تقوم وحدتهم على أساس اشتراكهم في الاسم والرمز التوتمي . وبما لهم من علاقات معينة ، بمجموعة من الأشياء ، وخاصة من الحيوانات . وبمعنى أعم باتخاذهم عبادة التوتم[1] .

وإن المتأمل في جوانب « المذهب الاجتماعي » وما قيل من أنه أصل نشأة الدين . يجد أن هذا المذهب بعيد كل البعد عن الواقع . وهناك كثير من بحوث علماء أوروبا تنقد هذا المذهب، نقداً جريئاً . ولا يهمنا ذكر النقود التي وجهت لهذا المذهب . وإنما يكفينا عرض المذهب الاجتماعي عرضاً نفهم منه أن هناك من الناس من قال بهذا المذهب .

(١) ـ راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٤ .



المذهب النفسي يقوم على تجارب الإنسان النفسية ، في حياته العادية المألوفة له في كل يوم . وتجارب الإنسان النفسية ، كافية ـ في رأي بعض العلماء ـ لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة العليا .

والباحث في مقولات علماء النفس ، يجد أن نظريات كثيرة ، تذكر في هذا الموضوع . ويمكن لنا أن نذكر أهم هذه النظريات . التي جاءت تحت عنوان المذهب النفسي .

نظرية ساباتيه

ويقول العلماء الباحثون : أن « أوجيست ساباتيه » حاول في الفصل الأول من بحثه عن فلسفة الدين : أن يؤسس العقيدة الإلهية على بعض الملاحظات النفسية . فقال : « العقيدة تتولد في الإنسان ، منذ نشأته ، على إثر شعوره بمناقضة جوهرية ، بين حساسيته وإرادته . وهما القوتان اللتان تتألف منهما حياة النفس ، في أيسر مظاهرها »[1] .

وفي الحق أن حياة الإنسان النفسية ، قائمة في جوهرها على حركتين متعاكستين :

ـ إحداهما: تتجه من الخارج إلى الداخل « من المحيط إلى المركز » .

---

(١) د/ عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٣٥ .

ــ وثانيتهما: تتجه من الداخل إلى الخارج « من المركز إلى المحيط » .

ــ فالحركة الأولى : تمثل تأثير الأشياء على النفس ، بواسطة الإحساس . وتلك هي حال انفعال النفس وقابليتها .

ــ والحركة الثانية : تمثل مجاوبة النفس على الأشياء ، بتوسط الإرادة وهذه هي حالة تأثير النفس وفاعليتها .

بيد أن هاتين الحركتين ، لا تنطبقان تمام الانطباق ، وليس بينهما كمال تناسق وتجاوب . ذلك أن الحساسية تسحق الإرادة وتكبتها . فكلما اندفعت موجة الحركة الإرادية من داخل النفس ، وارتطمت على صخرة الأشياء الخارجية ، فانكسرت عليها . رجعت كئيبة مبتئسة . وهذه الصدمات المتوالية ، وتلك المنازعات المستمرة ، بين النفس ، وبين العالم الخارجي . هما السبب الأول ، لكل أنواع الآلام . ولكنها في الوقت نفسه ، هي منبع النور ، ومصدر الشعور . . ذلك أن ارتداد الموجة إلى مركزها يولد في هذا المركز ، حرارة تشبه الحرارة الناشئة من حركة العجلة على محورها . ثم لا تلبث هذه الحرارة أن تبعث شرارة ضوئية ، تضيء جوانب الوجدان . وذلك هو الوعي ، وتنبه البصيرة ، والذي تصبح به النفس مدركة ، وحاكمة ، ومحكومة معاً . كأنها كائن مزدوج : أحد شقيه ، هذه النفس المثالية . والآخر تلك النفس المكبوتة الواقعية [1] .

هكذا ولدت الحياة النفسية بين وخزات الألم والاخفاق . أليست كل ولادة تصحبها الآلام والدموع ؟

ولو أننا تابعنا هذه الملاحظة ، في سائر الحالات النفسية ، لرأيناها كلها كما تولد من مناقضة ، تفنى في مناقضة أخرى . فرغبة العلم تنتهي بالاعتراف بالجهل ، ورغبة الإستمتاع تنتهي بالتقزز . كأنها تحمل في نفسها ، جرثومة فنائها . والإسراف في الحرص على السعادة يذهب براحة الطمأنينة ، والرضى ، ويزيد الألم شدة . فأين المفر .؟؟ .

---

(١) انظر الشيخ عبد الله نعمة عقيدتنا ص ١٩ وراجع الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين ص ١٣٦ .

إن مـن الخطـأ أن يعتمد الناس على تقدم العلوم الطبيعية في إنقاذهم من هذا البؤس والحرمان . فإن العلم بدلاً من أن يلطف من هذه المناقضة العتيدة . يزيد في حدتها ، ويشحذ سلاحها الفتاك . ذلـك أن كل اكتشـاف علمي يضم حلقة جديدة ، إلى سلسلة الأسباب الضـرورية ، التي لا بـد منها ، في نـظام الأشياء واتساقها وثباتها . فيزيد بذلك قيداً في حريتنا ، وغلاً في أعناقنـا . ولا نـزل نتقدم في هـذه السبيل ، حتى نصـل إلى المناقضـة العـامـة ، بين العلم والعمـل . بين التفكير والحـركة ، بين قـوانين الطبيعـة ، وقـوانين الأخـلاق . وهكذا نقيم حرباً داخلية ، بين ملكـات النفس ، وننتهي إلى شعور اليـأس من قيمة الحياة . من هذه الأزمة الداخلية ، ينشأ التدين . كأن هذه الأزمة تفتح في صخرة الطبيعة شقاً ، يتفجر منه ماء الحياة . لا على معنى أن الـدين يقدم لنـا حلاً نظرياً لهذه المشكلة . لأن الحل الذي يقـدمه لنـا التدين هـو في الحقيقة عملي محض . فهو لا يفتح لنا باباً جديداً من المعرفة . بل يعود بنا عملياً إلى المبدأ الذي اقتبسنا منه وجـودنا ، ويمنحنـا شعور الثقـة والإيمان بمبـدأ الحياة وبنهاياتها . ومنزلة هذه الثقـة من عالم النفس كمنزلة غريـزة البقاء ، من عـالم الطبيعة المادية . ولكنها صورة أسمى من تلك . فإنها في عالم المادة ، تسيـر بقوة قاهرة عمياء . أما في عالم النفس ، فإنها تستضيء بنور الشعور ، والإرادة المفكرة ، ومن جهة أخرى ، فإنها تستند إلى حقائق واقعية ، وتقوم على شعور ملازم لكل فطرة إنسانية ، وهو شعور التبعية المطلقة ، لقانون الوجود العام[١] .

والشعور بالتبعية هو الأساس التجريبي للعقيدة الإلّهية . ومهما تكن فكرة الألوهية في عقولنا غير محددة . فإن موضوعها لا يفلت قط من شعورنا . فهـو حاضر لدينا ، بل يفرض نفسه علينا في هـذا الشعور . حتى أنـه يسوغُ لنـا أن نضع هذه المعادلة الحسابية مطمئنين : إن شعورنا بالتبعية المطلقة هو شعـورنا بحضـور السر الإلهي فينـا . هذا هـو الينبوع العميق الـذي تفيض منه الفكـرة الإلّهية بقوة لا تقاوم[٢] .

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٣٧ .
(٢) راجع المصدر السابق ص ١٣٧ . وراجع الشيخ عبد الله نعمة عقيدتنا ص ٢٠ .

ولا يخفى أن هـذه النظريـة عليها ردود كثيـرة . دلت على تهـافت هـذه النظرية .

نظرية برجسون

نظرية بـرجسون تلتقي مـع نظريـة « سابـاتيه » في القـول : بأن العقيـدة الإلّهية ، تقوم على عوامل نفسية ، تثيرها حياة الإنسان اليومية .

وبينما نجد أن نظرية « ساباتيه » تواجـه من هذه الحيـاة جانبهـا المتصل بقـوانين الطبيعـة الثابتـة ، التي تصطدم بهـا الإرادة ، فلا يسعهـا إلا الخضوع والإستسلام للقوة التي فرضت هذه القوانين ، وأحكمت وثاقها . فإننـا نرى أن « هنري برجسون » يعتمد في كتـابه عن « ينـابيع الخلق والـدين » على جانبين آخرين من تلك الحياة العادية :

أحدهما : يرتبط بالقوانين الأدبية ، التي يفـرضها المجتمـع وما فيـه من العرف والعوائد .

وثـانيهمـا : يتعلق بـالحـوادث المستقبلة ، التي تفتـح لهـا أبـواب الإمكـان ، وتتسع لـلاحتمـالات وللمصـادمـات ، فـلا يمكن التنبؤ بهـا بصفـة قاطعة . .

أما كيف تنشأ العقيدة الإلّهية ، عن الشعور بالواجبات الإجتماعية ، فبيانه أنه لما كان نظام المجتمع وتماسكه ، يتطلب من الفـرد ، انخلاعـه عن بعض رغباته وتضحيته بجانب من حريته ، وتحمله أعباء تقتضيها مصلحة غيره . ولا يعود عليه منها نفع مباشر ، وكان ليس من الهين ، أن يتقبل المرء ، عن طيب خاطر ، كل هذه التضحية ، وكل هذا الحرمان . إذ كانت الغريزة الاجتمـاعية عنده أضعف من أن تحمله على نسيانه في خدمة المجمـوع ، وأن تجعل مثله كمثل النملة أو النحلة ، حين تذهـل عن نفسها ، في خـدمة النمـل والنحل . وكـان استعمال ذكـائه العـادي ، في حساب مصلحتـه ، يدعـوه بـالعكس إلى الأثرة ، وإلى التضحية بمصلحة الآخرين ، في سبيل إصلاح شأن نفسه . كان لا بد من قوة أخرى ، تحفظ التوازن ، وتؤاخي بين مصالح الفرد والجماعـة . تلك القوة قد أعـدتها الفـطرة الإنسانيـة ، في النفوس ، حين أشـربتها الفكـرة

الدينية . وذلك أنها صورت أمامها المحظورات الاجتماعية ، بصـورة مخيفة ، تجعل من المخاطرة انتهاكها ، وما زالت تبالغ في هذا التصويـر ، حتى خيلت للنفس . أن هذه المحظورات ، يقوم على حمايتها حارس معنوي . آمر ، ناه ، محاسب ، ينذر من ينتهكها بالبطش والعقاب . وذلك هو معنى الإله[1] .

وصورة هذا الحارس عند « برجسون » ليست وليدة التفكير المنطقي . بل من عمل الواهمة أو المخيلة التي تشخص المعنويـات ، وتجسم المجردات . ولكنها ليست من قبيل تخيل الفنانين ، ولهو المصورين ، وأصحاب الأساطير . فإن آثار هؤلاء لا تعدو أن تكون نـوعاً من الترف الذي يمكن الاستغنـاء عنه ، بخلاف الصورة الإلهيـة ، التي تخلقها الحـاجة الاجتمـاعية . فـإنها وإن تكن وهماً . إلا أنه وهم تفرضه الحياة ، ومن أجله وجدت هذه الملكة الرمزيـة في طبيعة الإنسان [2] .

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز ، تعليقاً على ما ذكره « بـرجسون » : اعلم أن هذا التفسير ، إنما ينطبق في نـظر « برجسـون » ، على نشأة العقيـدة الإلهية ، عند العامة الـذين يعيشون متـأثرين بقـوانين المجتمع وعـوائده ، في الجماعات العادية ، المحدودة بحدود القبيلة أو الشعب أو الأمة . والتي يسميها بالجماعات « المغلقة ». ولكنـه لا ينطبق في نـظره على العباقـرة الممتازين ، الذين لا يستمدون عقيدتهم من قواعد المجتمع وعوائده ، ولا حـاجة بهم إلى هذه المقاييس النفعية . فهؤلاء يغترفون من منبع الحياة الصافي ، حتى تجيش به صدورهم . فيـدفعون الجمـاعة وراءهم دفعـاً . بدلاً من أن ينـدفعوا بهـا ، ويضعون لها القوانين بدلاً من أن توضع لهم القوانين وما الجماعة في نظرهم إلا الإنسانية العالمية ، التي لا تعرف الحدود والحواجز . وما قانـونهم إلا المحبة التي لا تنتظر جزاء ، ولا تبتغي نفعاً ولا عوضاً[3] .

---

(١) راجع الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠ .

(٣) راجع الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحـوث ممهدة لـدراسة تـاريخ الأديـان هامش ص ١٤١ .

نظرية ديكارت

يستخدم « ديكارت » للبرهنة على وجود الله ، منهجاً مغايراً لكل مناهـج الفلاسفة السابقين عليه .

وقد كان الفكر الفلسفي قبل « ديكارت »، يحاول إثبات وجود الله ، عن طريق إثبات وجود العالم الخارجي أولاً ، والإستناد إليه . . أما ديكارت . فإنه بعد ما أثبت وجود أنيته ، بأنه كـائن أو جوهـر مفكر ، ووجـد في نفسه أفكـاراً فطرية ، لا مجال للشك فيها . منها : «فكرة الكامل اللامتناهي » سلك مسلكاً مغايراً ، لكل الفلاسفة القدامى . وقام يثبت وجود الله(١) .

وقد وجد هذا الفيلسوف في تـأملاتـه : أن عقيدة وجـود الله تعتمد على تجربة نفسية . أقرب من هـذه التجارب كلهـا ، وأقل تعقيـداً . حتى أن الذي يغمض عينيه ، ويسد أذنيه ، ويقطع علاقته بالكون وبالناس ، ثم ينطوي على نفسه ، ويتحسس أفكاره وتصوراته ، يجد مفتاح هذه العقيدة حاضراً فيهـا بين طيات نفسه . كلما شعر بـالفرق بين الشـك واليقين ، أو بين الجهل والعلم . وبالجملة كلما قرأ في لوحة نقصه عنوان : « الكمال » الذي ليس له(٢) .

ليست فكـرة الكمال هـذه في نظر « ديكـارت » فكرة مستنبـطة من فكرة أخـرى ، وإنما هي حقيقـة أولية فـطرية . بـل هي أسبق في العقـل من فكـرة النقص . فإن من لا يعرف الشيء لا يتفقده ، ولا يحس بحرمانه حين يفقده . إذ كيف أعـرف أنني ناقص لـو لم تكن عنـدي فكـرة كـائن أكمـل مني أجعله مقياساً ، أعرف به مواضع نقصي ؟ فالرغبة في الكمال وحدها دليل على أسبقية وجود هدفها في التصور العقلي ، ثم ليست هذه الفكرة مني سلبياً « كالسكون : عدم الحركة . وكالظلام : عدم النور » بل هي جماع الحقائق الإيجابية ، ونظام ضروب الكمالات كلها .

من أين تجيء هذه الفكرة إذاً ؟

---

(١) انظر الدكتور مهدي فضل الله فلسفة ديكـارت ومنهجه ص ١٣٠ ط دار الـطليعة بيـروت ١٩٨٣ م .

(٢) د/ محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٤٣ .

ـ لا جائز أن يكون من هاوية العدم مطلعها . فإن العدم لا يخلق الوجود ، كما أن الصفر لا يلد عدداً إيجابيًّا .

ـ ولا جائز أن يكون من قرارة النفس منبعها . فهذه النفس هي مصدر النقص الذي أحاول التخلص منه .

ـ ولا يقال إن الكمال الذي لم أحرزه بالفعل ، هو حاصل عندي بالقوة ، وأنا دائب في سبيل اكتسابه ، بالترقي في مراتبه تدريجياً . وهذه النزعة إليه هي التي أنشأت فكرته في نفسي . فذلك فرض باطل من وجهين :

أولهما : أن هذه الفكرة لا تصور في نفسي درجات الكمال التي سأنالها ، أو التي يمكنني نيلها فحسب . بل إن كل درجة من الكمال أتصورها في نفسي أو في غيري . أتصور دائماً فوقها درجة أعلى منها .

وثانيهما : أن فكرة الكمال الأعلى التي أجدها في نفسي ، تحتوي كل درجات الكمال الوجودي الفعلي ، الذي لا شيء منه بالقوة الإمكانية القاصرة . وإلا لم يكن هو المثل الأعلى . ولما أمكن وجود شيء من الكمالات الجزئية بالفعل . لأن ما هو بالقوة والإمكان فحسب . لا يمكن أن يحدث ما هو بالفعل في حقيقته الإيجابية الظاهرة الباهرة . فإن فاقد الشيء لا يعطيه غيره[1] . وأخيراً . ليست هذه الفكرة اختراعاً ، وفرضاً افترضه خيالي . بل هي ضرورة تفرض نفسها على عقلي ، وعلى كل العقول . فلم يبق إلا أن تكون صورة منعكسة على مرآة النفس ، من حقيقة إيجابية ، وذات خارجية . هي مادة الكمال المطلق ومصدره . وهي المثل الأعلى . وما وضع هذه الصورة على لوحة نفسي إلا كوضع « سمة الصانع » على صنعته ، أو توقيع الكاتب في رأس رسالته[2] .

فديكارت يرى أن فكرة الله . قد غرست في الإنسان عند خلقه . ويمكن

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٤٤ .

(٢) راجع الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ١٤٥ .

وانظر رينيه ديكارت مقال عن المنهج ص ١٣٢ و ١٣٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

تقـريب ذلك إلى الأذهـان بما يفعله الفنـان أو الصانـع ، عندمـا يختم صنعتـه باسمه[1] .

ويمكن القول : إن فكرة الكائن الكامل اللا متنـاهي ، الحائـز على كل أنواع الكمال ـ عنـد الفيلسوف ديكـارت ـ هي من جملة الأفكار الفـطرية التي يمتلكها الذهن أو تمتلكها النفس بالفطرة . .

---

(١) انظر الدكتور محمود حمدي زقزوق دراسات في الفلسفة الحديثة ص ١٠٧ ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٨ م .

ذهب بعض العلماء إلى أن فكرة التوحيد أو فكرة الإله الأعلى . هي البداية الحقيقية للدين . وأن هذه البداية النقية ، قد فسدت بتأثير الظروف الإجتماعية . فانتشرت الخرافة والوثنية في المجتمعات الإنسانية . وأن الإنسان أخذ يترقى فيما بعد ، في فهم الدين ، إلى أن انتهى إلى التوحيد . وبعبارة أدق عاد إلى التوحيد . ونظريتهم هذا تحقق في نظرهم أمرين هامين :

أولهما : أنه يتفق مع مذهب التطور الذي يبدأ من البسيط إلى المركب « من التوحيد إلى التعدد » .

وثانيهما : أنه يعترف بالألوهية وعلاقتها بالخلق . استناداً إلى ما أودع الله في الإنسان من مبدأ الوعي ، والفهم ، والاتصال[1] .

١ ـ ومن رجال نظرية التوحيد الفطري « لانج » ، الذي ذهب إلى أن الإنسانية بدأت بدين التوحيد . وإنها كانت مفطورة عليه ومغروسة فكرته في النفوس. ولكن الخطيئة الإنسانية ـ تلك الخطيئة التي رمز إليها في الديانات السماوية بخطيئة آدم . أخفت معالم تلك الحقيقة فلم تصل الإنسانية إلى فكرة التوحيد أو فكرة إله السماء إلا بعد أجيال عدة . بدأ « لانج » أبحاثه في تاريخ الأديان بمهاجمة المذهب الحيوي الذي اعتنقه من قبل . وقد اعتمد في

---

(١) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٥ .

مهاجمته . لهذا المذهب على كثير من الدراسات « الأنثروبولوجية » التي قام بها علماء غيره[1] . .

فالدراسات التي قام بها « هوايت » في قبائل أستراليا الجنوبية الشرقية ، والتي قام بها « مان » في القبائل الإفريقية البدائية كالبوشمان والهوتنتوت والزولو ، وغيرها من قبائل جنوبي إفريقيا ، ووسطها . وبعض قبائل الهنود الأمريكيين . وكتابات « مسز باركر » عن بعض قبائل أستراليا ، وقصصهم . قد أوصلت هؤلاء العلماء وغيرهم إلى أن هذه القبائل تؤمن بوجود « إله أعلى »[2] .

وعلى هدى هذه الأبحاث والدراسات استخلص « لانج » : أن أول ديانة إنسانية ، ظهرت في الوجود ، هي ديانة التوحيد . باعتبار أن هذه القبائل ، تمثل أكثر القبائل بدائية ، وأقربها إلى الحالة الأولى التي كانت عليها الإنسانية[3] .

ومن الملاحظ أن « لانج » لم يقتصر على أبحاث غيره من العلماء . وإنما أراد أن يثبت صحة نظريته ، على أساس منطقي فلسفي ، يمكن تلخيصه في النقاط الآتية :

١ ـ إن مبدأ السببية[4] فطري في عقل كل إنسان . فإذا كان الإنسان يرجع كل شيء إلى سبب أو موجد . فإن التسلسل السببي سيقود الإنسان حتماً إلى الإيمان بوجود إله خلقه ، وخلق كل شيء . لأنه أي الإنسان لا يستطيع أن يخلق الأشياء الطبيعية التي يلمسها أو يلاحظها .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٧ .

(٣) انظر الخشاب الاجتماع الديني ص ١٣٧ و ١٣٨ .

(٤) مبدأ السببية أو قانون العلية : إن شيئاً من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء . لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ، ولا يستقل بإحداث شيء . لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو . كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد إيجابي . فلا بد له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي . وهذا السبب الخارجي إن لم يكن موجوداً

٢ ـ إن الإنسان يتصور الإله بأنه كائن غير طبيعي ، سواء في قدرته على الخلق والإبداع ، أو في حبه للخير . ومن هنا نشأ الاعتقاد في قوة أسمى من الإنسان ، في القدرة ، والعطاء ، وحب الخير .

٣ ـ يوجد في كل مجتمع إنساني ، نوعان من العقائد : عقائد توصف بالفضيلة بأوسع معانيها من حيث اشتمالها على عواطف نبيلة . وعقائد تسودها صفة الرذيلة ، بما تتمثل في الأساطير التي تصور القسوة ، وفعل الشر . وإن البحث الواقعي . لا يوقف الباحث على أي النوعين أسبق في الوجود الزمني ، ويبدو أن هذين النوعين من العقائد قد وجدا جنباً إلى جنب . لذلك لا يمكن للعلماء الأنثروبولوجيين ، فصل كل نوع عن الآخر ، ما لم يستعينوا بالمنهج المقارن ويطبقونه على الديانات الحديثة[١] .

ولكن ما دامت فكرة التوحيد هي الأصيلة في النفس الإنسانية ، وهي أولى الأفكار ، وأساسها . فكيف تأتى لجميع أفراد الجنس البشري ، أن ينسوا هذه الفكرة النقية ، والديانة الصحيحة ، وكيف استطاعت الأفكار الخرافية ، والأسطورية والوثنية ، أن تسيطر على فكر الإنسان أزماناً طويلة ، قبل أن يعرف التوحيد ؟ يجيب « لانج » بما حاصله : إن الإنسانية عاشت فترة حياة مليئة بأسمى المعاني ، ولكن ثمة تحلل حدث بعد ذلك ، في عهد من العهود البدائية . كانت فكرة الإله الخالق ، ليست بحاجة إلى العطايا والمنح . وكانت تنهى عن الشهوات والعداوات ، وتمنع الناس عن الظلم والجور ، ولا تمد العون للبدائي في حروبه ، ولا تهبه القوة تجاه الأمراض السحرية[٢] .

وكثيراً ما كان البدائي يضحي للإله لكي يحقق عملاً من الأعمال ، فلا

بنفسه احتاج إلى غيره . فلا مفر من الإنتهاء إلى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب .

« راجع د/ دراز: الدين ص ١٠٤ و ١٠٥ وراجع هامش الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٧ » .

(١) انظر الخشاب الاجتماع الديني ص ١٣٧ و ١٣٨ . وراجع د/ رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٣٨ .

(٢) راجع العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ١٤١ و ١٤٣ .

يتحقق فيندفع ـ أحياناً ـ إلى التماس تحقيق مطلبه ، من موجودات خفية ، ذات صفة طلسمية ، وكانت أولى هذه الموجودات هي الأشباح ، والنفوس . قطع الإنسان شوطاً كبيراً ، في التوجه إلى هذه الموجودات ، فنشأ عن ذلك أنه :

١ ـ أهمل فكرته الصافية عن خالقه .

٢ ـ اعتبره أحد القوى الكبرى ، بجانب القوى الأخرى الأسطورية ، ونسب له كثيراً من صفات تلك القوى ، وقدم له القرابين ، كما قدم لها . وقطعت الحياة الإنسانية طوراً زمنياً ، ظهرت فيه فنون ومهن . فأصبح لكل مهنة وفن إله . ظل حال الإنسانية هكذا . حتى جاءت المسيحية ، ثم الإسلام وعندها عرفت الإنسانية التوحيد في أجلى صوره [١] .

٣ ـ وظلت نظرية « لانج » في نشأة الدين ، موضع شك ، وعدم تسليم ، حتى ظهر المنهج التاريخي[٢] في علم الأجناس . فاتفق مع كثير من النتائج التي انتهى إليها « لانج » .

وأشهر من استخدم هذا المنهج هو « شميدث » الذي طبقه على أقزام أواسط إفريقيا ، وجزائر الاندمان ، وبعض جزائر الفلبين . فبحث حالتهم الاجتماعية والدينية . وقد اقتنع « شميدث » وغيره من الباحثين . بأن هؤلاء يمثلون أقدم طور في التطور البشري ، وأنهم أحط من قبائل جنوب شرق أستراليا . وانتهى « شميدث » إلى تقرير : « إن الأقزام يؤمنون بوجود إله أعلى » ودعا هذا بوجود إله في السماء ، عند بعض القبائل الأسترالية والسكان الأصليين في أمريكا .

وقد شرح « فوركارت » فكرة إله السماء ، في دائرة المعارف « الدين والأخلاق » فقال : « إن تصور إله السماء ، يرجع إلى أقدم العصور الإنسانية »

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ و ١٤٥ وانظر علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ١ ص ١٤٠ ط ٣ سنة ١٩٦٥ م .

(٢) هذا النوع من المناهج يسمى أيضاً المنهج الاستردادي والمنهج التكويني . وهو يعتمد على استرداد الماضي ، وثبت الوقائع والأحداث ، وتكوينها وتوثيقها ، بلا أدنى تدخل من الباحث في مجريات تلك الأحداث والوقائع . « الدكتور أحمد الشاعر نحو منهج متكامل في البحث الفلسفي . حولية كلية الشريعة جامعة قطر المجلد الثالث ص ١٠٧ و ١٠٨ ط جامعة قطر ١٩٨٤ م . » .

ونسب هذه الفكرة إلى تخيل البدائي ، والبحث في أصل الظواهر السماوية[1] .

وانتهى « شميدث » إلى تقرير : أن فكرة الإله الأسمى ، قد أشبعت مطالب الإنسانية ، وحاجاتها الاجتماعية . فالإله في نظر هذه القبائل هو الذي أقام دعائم الأسرة ، بتحديده لعلاقات الزوج والزوجة والأولاد . كما أنه يعتبر في نظر هذه القبائل ، مصدر القواعد الخلقية التي يتحقق بها الخير والفضيلة ، كما أنه هو الذي يمد الإنسانية بالقدرة على الحياة . والإله في نظره ، وحدة زمانية ، تتصل بالأبدية والسرمدية فقدرته تتحقق في كل زمان ، وفي كل مكان .

فكما أن الله وحدة زمانية . كذلك هو وحدة مكانية . بمعنى أنه يتحكم في كل الأماكن ، وليس ثمة إلا إله يملأ الكون ، وقوة واحدة ، تسيطر على جميع المناطق والأقاليم . فهو ليس إله المجتمع الواحد . وإنما هو إله لجميع المجتمعات[2] .

إلا أن أكثر هذه المجتمعات الإنسانية البدائية ، التي آمنت بوجود إله أعلى وأسمى ، لم تكن موحدة بالمعنى الصحيح . لأن البحوث والدراسات أثبتت أنها تؤمن بوجود آلهة آخرين . فكيف حدث هذا ؟

يجيب « شميدث » عن هذه الظاهرة التي يلاحظها البعض : بأن ذلك حدث نتيجة لتطور وفساد الفكر الديني الذي أنتج فكرة تعدد الآلهة بعد أن كانت تسود المجتمع الإنساني فكرة : « الإله الواحد »[3] .

٤ ـ والقس « ويلهلم » رجل من رجال الكهنوت المسيحي . ثم هو عالم من علماء « الأنتربولوجي » يذهب حسب دراساته إلى أن الإنسان البدائي الأول كان يعبد إلهاً واحداً. وقد أطلق عليها هذا القسيس «مونوثرما الأولى» حتى يميز بين هذه العبادة الموحدة وبين غيرها . مما جاء بعدها في الأمم المتقدمة . .

التوحيد الأول عند الرجل البدائي يعني أن العالم كله يخضع لقوة واحدة

---

(١) الخشاب الاجتماع الديني ص ١٣٩ .

(٢) الخشاب الاجتماع الديني ص ١٤٠ والعميد طه الهاشمي تاريخ الأديان ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣) د/ رشدي عليان وسعدون الساموك [الأديان دراسة تاريخية مقارنة] ص ٤٠ .

هي التي تسيره ، وتنظمه ، وتدبره . لكن حسب التطور العقدي . فإن هذه القوة قد تفرقت وصارت عدة قوات طبيعية مقدسة . بل إن تفرقها إلى أعداد صار فوق العد والحسبان . نعم في القديم كان التوحيد هو العقيدة الأولى للبدائيين . وهي عقيدة موحدة ، لم تتأثر بواحد من الأديان الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية[1] .

---

(١) الدكتور أورانج كاري رحمات التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص ٥٩ ط دار الثقافة . قطر . ترجمة الدكتور رؤوف شلبي .

تعليقات

لقد عرضنا أهم ما ذكره العلماء في أصل الدين ومصدره ، مما يتصل بالاتجاه الإنساني أو المذهب الوضعي . وهناك آراء أخرى كثيرة ، غير ما ذكرته ، في هذا الموضوع . ويهمنا أن نذكر بعض التعليقات على ما سبق من نظريات تندرج تحت الاتجاه الإنساني ، لتتضح الرؤيا .

١ - إن أنصار مذهب التطور قرروا أن الدين من وضع الإنسان ، ونتاج فكره ، وليس من وحي الله ، وأن الدين بدأ بداية همجية ، تتمثل في الخرافة والأسطورة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه إلى أن انتهى إلى التوحيد ، كما تدرج نحو الكمال في علومه وفنونه وصناعاته .

٢ - إن أصحاب نظرية التوحيد الفطري قرروا أن الله قد غرز فكرة التوحيد في النفس البشرية ، وأن الإنسان الأول ، قد اهتدى إلى هذه الفكرة ، ونعم بها . ولكنه لم يعرفها من طريق الوحي ، بل بما أودع الله فيه من مبدأ الوعي والفهم والقدرة على الاتصال به ، ومعرفته وعبادته . وهذا يعني أنهم يشكون في فكرة الوحي الأولى من الله للإنسان[1] .

٣ - المذهب النفسي لا يصح اعتباره فرضاً علمياً . لأن الفرض العلمي إنما يكون نتيجة ملاحظة متكررة لا تختلف فيها كل ملاحظة ، وحينئذ تكون

(١) راجع الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٤١ .

مؤدية إلى فرض علمي . وهذا غير متوفر فيما ذكر . يضـاف إلى ذلك أن علم النفس ما زال نظريات قد تصح وقد لا تصح . ويؤكد ذلك التضارب الجذري الحاد حول نظريات هذا العلم وركائزه[١] .

٤ ـ بعض النظريات النفسية جعلت فكرة الألوهية في مظهرها عند العامة فكرة رمزية ، لا تعدو أن تكون ضرباً من ذلك الأسلوب القصصي الذي يخوف به الأطفال أو يداعبون به[٢] .

٥ ـ يبدو أن الذين قـالوا إن نشـأة الدين كـانت من صنع عـوامل طبيعيـة وتاريخية أحاطت بالإنسان . دفعوا إلى هذا القول نتيجة ملاحظة ما يوجد عنـد بعض الشعوب القديمة كاليونان والمصـريين وسواهمـا من تعدد الآلهـة ، حين جعلوا للحرب إلهاً ، وللبحر إلهاً . وهكذا . ومع أن هذا يقوم على افتراض لا يمت إلى الفرض العلمي بشيء . فإننا نتساءل : لماذا لا تكون هـذه الكوارث الطبيعية ، التي تذهل الإنسان عند مـواجهتها . سببـاً لإماطـة الحجاب ، عن بصيرته ، وعاملاً أساسياً ، لرؤية واضحة . كان يفقـدها عنـدما لم يكن واقعـاً تحت وطأتها . تعود به إلى فطرته السليمة ، وغريـزته المـركوزة ، في وجـدانه وأعماقه إلى خالقه ، الذي هو وحده بيده النجاة من تلك الكوارث . ؟ .

٦ ـ إن الغاية من تلك النظريات والأبحـاث هي تحديـد مصدر الـدين ، والمظهر الذي ظهر به في أول الأزمنة . وهذا يتطلب معرفة كـافية بـالتجمعات الإنسانية الأولى . والواقع أن هـذا مطلب عسيـر جداً . لأن تلك الفتـرة وحال أهلها ، لا تزال محجوبة عنا . وقد اعترف مؤرخو الأديان ، بأن الآثار الخاصة ، بديانة العصر الحجري وما قبله ، لا تزال مجهولـة لنا جهـلاً تامـاً . فلا سبيـل للخوض فيها[٣] .

ويقول العلامة (هوفد بخ) : « إنه يبعد كل البعد أن ينجح تاريخ الأديان في حل مشكلة بزوغ الدين . فإن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الأولى ، في مجتمعٍ ما . وكل ما نجده إنما هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلاً

---

(١) الشيخ عبد الله نعمة عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ص ٢٠ .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز :الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١٤١ .

(٣) انظر رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٤٢ .

أو كثيرا . حتى أن أحط القبائل الهمجية التي نعرفها قد مرت بأدوار شتى ، وتطورت تطوراً يبعدها عن الحالة البدائية التي كانت عليها في نشأتها الأولى »[1] .

٧ - إن أصحاب تلك النظريات ، اتخذوا من المجتمعات البدائية المعاصرة ، مادة يعتمدون عليها ، في صحة نظرياتهم ، على اعتبار أن هذه المجتمعات تمثل الشكل الذي كانت عليه المجتمعات الإنسانية ، في فجر حياتها . والواقع أن الإستدلال على ديانة المجتمعات الإنسانية الأولى ، بديانة المجتمعات المتخلفة المعاصرة ، مبني على افتراض : أن هذه المجتمعات ظلت بمعزل عن التيارات الحضارية . وبذلك فهي لا تزال تمثل الإنسانية الأولى . وهذا الإستدلال غير مقبول من الوجهة العلمية ، لأنه مبني على افتراض لم يقم عليه دليل[2] .

٨ - إن أصحاب تلك النظريات ، لم يكوِّنوا آرائهم تلك ، نتيجة بحث وتمحيص ، لكل تجمع إنساني . وإنما كونوها بناء على دراساتهم ، لتجمعات إنسانية معينة ، ثم حاولوا تعميم النتائج التي توصلوا إليها على جميع التجمعات الإنسانية . والواقع أن فكرة التعميم هذه ، إن كان يمكن تطبيقها في العلوم الطبيعية فإنه لا يمكن التسليم بها فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية . وذلك لأن هذه العلوم مما تخضع للإرادة والرأي العام ، وهي أمور مرنة متطورة لا تسير على وتيرة واحدة[3] .

٩ - إن النظريات التي تضمنت أن فكرة الدين قد وصل إليها الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية . كلها مردود عليها ، وعليها نقود ، وهي مجرد افتراضات مبنية على افتراضات . فهي لا تصف الحق الثابت الذي هو مطلب العلم الصحيح ، وإنما تعرض احتمالات . لأن منهاجها الذي اتبعته في الكشف عن ديانة الإنسان الأول . هو الوقوف على ديانة المجتمعات القديمة ، والمجتمعات المعاصرة المتخلفة ، على زعم أنها تمثل حالة الإنسان الأول ،

---

(١) راجع عيسى الحلو عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم ص ٤٤ .

(٢) انظر الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤ .

وأن ديانته كديانتها . وهذا غير صحيح . وذلك :

١ ـ لعدم وجود وجه شبه بين تطور العلوم والفنون ، وبين فكرة الدين وتطورها .

٢ ـ ولأنه لا تلازم بين حالة المجتمعات المتخلفة المعاصرة والقديمة ، وبين المجتمعات الإنسانية الأولى ، لتعرض المجتمع الإنساني ، لتعاقب أدوار التحضر والتخلف . فلا يلزم من كون بعض القبائل في إفريقيا ، أو أستراليا ، أو أمريكا أو غيرها متخلفة ، وبدائية ، وهمجية . أن يكون هذا التخلف لازماً لها ، ولصيقاً بها ، حتى تكون ممثلة صادقة ، للمجتمع الإنساني الأول[1] .

١٠ ـ إن شواهد التاريخ ، والتطور الصحيح ، لا يؤيد شيء منها النظريات المبنية على مذهب التطور ، والتي تجعل الخرافة ، والأسطورة ، أصل الدين ومصدره ، بل إنها على العكس ، تميل إلى النظرية المقابلة ، « نظرية التوحيد الفطري » ، إلا أن تأييدها لهذه النظرية ، لا يرفعها إلى صف الحقائق التاريخية ، المفروغ منها ، لأن جميع ما قدم ، لدعم هذه النظريات ، من دلائل ، وإمارات ، لم يقو على أن يقدم لنا ، ضماناً من المنطق ، ولا من الواقع ، يثبت به أن الحوادث كانت تسير ، بالفعل دائماً ، على وفق ما ألفناه ، من الأوضاع ، ولا على الوجه الذي ينبغي أن يكون .

١١ ـ وسائل العلوم الحديثة ، على دقتها وشمولها . لم تستطع أن تقدم للباحثين بياناً شافياً ـ يطمئن إليه القلب ـ عن ديانة الإنسان الأول ، بل إنها عجزت حتى عن تحديد أي المجتمعات المعاصرة المتخلفة أقدم ، وأقدر ، على تمثيل المرحلة الأولى ، للمجتمع الإنساني .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦ .

لقد عرفنا أن علماء الاتجاه الأول : « الاتجاه الإنساني » أو « المذهب الوضعي » يرون أن أصل الدين ومصدره : الإنسان . بمعنى أن الإنسان قد وصل إليه بنفسه ، ولم يتلقاه من جهة خارج عالمه الحسي . وكان لا بد أن نعرض لرؤية علماء الاتجاه الثاني ـ « الاتجاه التعليمي » أو « مذهب الوحي » أو النظرية الكلامية أو اللاهوتية النقلية ـ الذين يرون أن أصل الدين ومصدره : الإله، بمعنى أن الله قد أوحى به إلى عباده بواسطة من يختارهم للتعليم والهداية . وهذا يعني أن الدين موحى به من عند الله ، وليس من وضع إنسان . .

وإذا كانت وسائل العلوم ـ كما عرفنا ـ على دقتها وشمولها ، لم تستطع أن تقدم للباحثين بياناً شافياً عن ديانة الإنسان الأول . فلا مفر إذن من الاستماع إلى علماء « مذهب الوحي » أو النظرية الكلامية أو اللاهوتية بشأن نشأة الدين ومصدره .

وبداية يحسن بنا أن ندرك أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ولم يشاورهم . ويميتهم ولا يشاورهم . . إذن جاء الله بالناس في هذه الحياة لرسالة . والعقل البشري لا يكفي وحده للتفريق بين الخير والشر . وهناك بعض الأمور الغيبية العظيمة ، لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي ، وعن طريق الشرع ، كالإيمان بالله تعالى ، والإيمان بالملائكة ، والبعث والنشور إلى غير ذلك من الأمور الغيبية . كذلك اقتضت حكمة الباري جل وعلا أن يبعث مواكب

المرسلين والأنبياء . لكي تلفت نظر البشرية إلى الحق ، وتسدد خطواتهم إلى طريقه ، من أقرب السبل وأنصعها ، ويعرفونهم بطريق الحلال والحرام ، ويحذرونهم مغبة الجحود والمخالفة ، ويخبروهم بما أعد الله من ثواب في جنته للمؤمنين الطائعين[1] .

ولو لم يرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين . لكان للناس على الله حجة بأنه لم يرسل لهم من يبلغهم أوامر الله ونواهيه ، وسائر شرائعه . حتى يعرفوا واجبهم نحو ربهم . قال تعالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾[3] .

يقول ابن القيم : « لا سبيل إلى السعادة ، والفلاح ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل ، إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال ، والأقوال ، والأخلاق ، ليس إلا هديهم وما جاءوا به . فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم . توزن الأقوال ، والأخلاق ، والأعمال ، وبأعمالهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال . . فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها . فأي ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير . . »[4] .

ويؤكد ابن حزم : ضرورة الدين والشرع . لأنه بدونه لا يتحقق صلاح المجتمع ، ولا يمكن انكفاف الناس عن القتل الذي فيه فناء الخلق ، وعن الزنا الذي فيه فساد النسل ، وعن الظلم الذي فيه الضرر على الأنفس والأموال

---

(١) انظر الدكتورة آمنة نصير [مباحث في علوم العقيدة] ص ٢١٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ .

(٢) سورة النساء . الآية رقم ١٦٥ .

(٣) سورة طه . الآية رقم ١٣٤ .

(٤) ابن القيم زاد المعاد جـ ٤ ص ١٤ ط المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٧٩ هـ . مصر .

وخراب الأرض ، وعن الرذائل : البغي ، والحسد ، والكذب ، والجبن ، والبخل ، والنميمة ، والغش ، والخيانة ، وسائر الرذائل . إذن صلاح العالم لا يمكن تحققه ، وأن الشرور والمفاسد ، لا يمكن درؤها إلا بشريعة آمرة زاجرة . إذ لولا ذلك لفسد العالم كله ، ولفسدت العلوم كلها ، وبطلت فضيلة الفهم ، والنطق ، والعقل ، الذي في الإنسان ، وصار كالبهائم »[1] .

ومن ذلك يتضح لنا حاجة الناس إلى دين ورسل ، يبلغون شرائع الله لخلقه ، وإلى جانب ذلك . نجد أن الإنسان في نفسه مجموعة ، من الغرائز ، والدوافع ، التي تطلب إشباعها بأية وسيلة من الوسائل . ففيه غرائز شهوات البطن والفرج ، والحواس ، وغرائز التملك ، والسيطرة ، والمقاتلة ، ونحوها من بقية غرائز الإنسان ، التي تنبع من أنانيته ، ونظراته لذاته . ولهذه الغرائز انفعالات . وكل غريزة في الإنسان تلح عليه داخلياً ، بتحقيق مطالبها ، ولو بطريقة عشوائية، أو بطريقة ، ينتج عنها ضرر بصاحبها ، أو ضرر بالمجموعة التي حوله من الناس ، دون شعور بآلام الآخرين ، أو بفساد أوضاع المجتمع . وإذا ترك الإنسان دون تشريع سماوي ، يحدد له هذه القيم ، وضروب الفضيلة ، لأصبحت المجتمعات البشرية كالغابة . من أجل هذه الأمور كان الناس بحاجة ، إلى رسل من عند الله تعالى ، يرشدونهم ، ويحددون لهم ، شرع الله الحكيم ، في إصلاح النفوس وتهذيبها فالناس لا يستطيعون بأنفسهم أن يتوصلوا إلى جميع الخيرات والفضائل الإنسانية والكمالات الخلقية ، ويتفقوا عليها[2] .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن كثيراً من عقلانيي المسلمين. قد قالوا بقدرة العقل الإنساني ، على الوصول إلى الله ومعرفته ، على نحو الاستقلال ، وعلى إدراك ما في الفعل الاختياري ، من حسن أو قبح ، خير أو شر ، ومسؤولية الإنسان أمام الله ، عما أدركه من ذلك بعقله ، بغض النظر عن هدي النبوة أو قبل وصول هذا الهدي إليه ، ولكنهم لم يدعوا كفاية المدركات العقلية ، لتنظيم المجتمعات الإنسانية . بل قالوا : بضرورة الوحي « هدى النبوة » لتأكيد تلكم

---

(١) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٩٤ . . ط الحلبي بالقاهرة .
(٢) الدكتورة آمنة نصير مباحث في علوم العقيدة ص ٢١٣ و ٢١٤ .

المدركات ، وإرشاد الإنسان إلى ما قد يعجز عن إدراكه بعقله ، مما لا بد منه لتنظيم حياته الأولى والآخرة[1] .

ويذهب البعض إلى استغناء العقل والعلم البشري عن الوحي . ويؤكدون هـذا الزعم مستنـدين إلى أن الإيمان بـالغيب ، ووجود الله . إمـا غريـزي في الفطرة البشرية . أو إلهام يلقى في روع الأفراد ، عند نمو مداركهم . بالإضافة إلى أن كثيراً من الحكماء ، قد وصلوا عن طريق عقولهم إلى المقاصد الأساسية للرسالات الدينية . فوصلوا عن طريق البرهان العقلي إلى وجود الواجب وعلمه وحكمته ، وما يجب له من التعظيم ، والشكر ، والعبادة . كما وصلوا إلى بقاء النفس بعد الموت وخلودهم في النعيم أو العـذاب . ووصلوا أيضاً إلى وضـع أصول الفضائل والتشريع التي تحقق سعادة الإنسانية ، وتدعم روابطها[2] .

ولكن هناك فروقاً بين هداية الأنبياء ، وحكمة الحكماء . وهي فروق في مصدر كل منهما ، وفي الثقة بصحته ، وفي الإذعان لحقيقته ، وفي تأثيـره في أنفس جميع طبقات المخاطبين .

ـ فحكمة الحكماء بشرية ناقصة . إذ هي ظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنـه مـوجـود ، مجهول . ومن ثم فهي عـرضة للخـطأ والخلاف ، كمـا أن الحكمة لا يفهمها كل الناس ، وإنما فئة خاصة هي التي تفهمها ، وما كل من يفهمهـا يقبلهـا ، ولا كـل من يقبلهـا ويعتقـد صحتهـا ، يـرجحهـا على هـواه وشهواته . إذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها . لأن النوع الإنساني يـأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هـو مثله في بشريتـه . وإن فاقه في علمه وحكمته ، وإنما يدين لمن يعتقد أن له سلطاناً غيبيـاً عليه ، بمـا يملكه من القدرة على النفع والضر بذاته ، دون الأسباب الطبيعيـة المبذولـة ، لجميع الناس ، بحسب سنن الكون ونظامه . .

ـ أما هداية الوحي الـديني ، فمن أعظم مـزاياهـا : أن جميع طبقـات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي . فبذلـك تكون تكـون عامـة

(١) د/ رشدي عليان العقل عند الشيعة الإمامية ص ٢١٢ الطبعة الأولى دار السلام بغـداد ١٩٧٣ م .

(٢) د/ سيد عبد التواب محاضرات في علم التوحيد ص ١٦٧ ط الجبلاوي ١٩٨٣ م مصر .

ثابتة ، لا مجال للخلاف والتفرق فيها ، ما دام الفهم لها صحيحاً ، والإيمان بها راسخاً[1] .

ولقد عرفت البشرية عباقرة في نواحي عديدة ، ولكن لكل عبقري مهما بلغ من تألق . فلا يخلو أن يكون له جوانب ضعف ، أو سقطات خلقية ، أو كبوات فكرية ، تجعل موضع عبقريته نقد الناقدين ، أو عرضة للمعترضين ، لأنه مهما علا وارتفع ، فهو إنسان يعتريه النقص والهوى ، ولا يمكن أن يصبح صاحب منهج يلائم جميع طبائع البشر . لأن هذا الأمر لا يقدر عليه إنسان بذاته . أما الأنبياء ـ باعتبار أن مصدر علمهم وحي من عند الله ـ فتعاليمهم معصومة عن الخطأ والزلل ، إلى جانب ذلك لا يوجد العبقري الذي يتفوق في كل جوانب الحياة الإنسانية[2] .

فالله سبحانه وتعالى أرسل رسله ، مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وأيدهم بالمعجزات الباهرات ، والآيات البينات ، وجملهم وكملهم بجميع الكمالات الإنسانية ، حتى يكونوا الأسوة والقدوة لجميع الناس . قال تعالى : **﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾**[5] .

فالله سبحانه قد أرسل رسله إلى أمم شتى في أنحاء الأرض ، وأوحى إليهم أن يكونوا هادين ومبشرين ومنذرين . يتلقون الوحي والعلم والدين عن الله سبحانه على الوجه والكيفية ، التي يختارها الله تعالى .

ـ قال تعالى : **﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك . إن اتبع إلا ما يوحى إليّ . . ﴾**[6] .

(١) الدكتور سيد عبد التواب محاضرات في علم التوحيد ص ١٦٧ و ١٦٨ .
(٢) الدكتورة آمنة نصير مباحث في علوم العقيدة ص ٢١٨ .
(٣) سورة الحديد . الآية رقم ٢٥ .
(٤) سورة النحل . الآية رقم ٣٦ .
(٥) سورة فاطر . الآية رقم ٢٤ .
(٦) سورة الأنعام . الآية رقم ٥٠ .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾[1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم** ﴾[2] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك** ﴾[3] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[4] .

إذن مذهب الوحي أو نظرية الوحي ، تؤكد أن أصل الدين ومصدره الإله ، وليس الإنسان . فالدين نزل على الإنسان ، ولم يكتشفه الإنسان . والإنسان قد عرف الإله بنور الوحي ، وليس بنور العقل . .

والمصدر الذي تستند إليه هذه النظرية ، هو الكتب السماوية . وقصة الخلق ـ خلق الإنسان الأول ـ الواردة فيها ، تشكل الأساس العام لهذه النظرية .

وإن الناظر في هذه الكتب ، والمنعم النظر في قصة الخلق ، يتأكد له صدق هذه النظرية ، بل يتيقن قلبه ، وتطمئن جوانحه ، إلى أنها حق وحقيقة .

فهذه الكتب تقرر أن الله سبحانه . قد تولى خلق العالم ، وتولى وما يزال يتولى أمر كائناته ، وأنه خص الإنسان من بين سائرها بالتكريم في مجالات كثيرة . قال تعالى : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون** ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ **الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره**

---

(١) سورة يوسف . الآية رقم ١٠٩ .
(٢) سورة الأنبياء . الآية رقم ٧ .
(٣) سورة الرعد . الآية رقم ٣٨ .
(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ٢٥ .
(٥) سورة المرسلات . الآية رقم ٢٠ ـ ٢٣ .
(٦) سورة لقمان . الآية رقم ٢٠ .

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر . ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾[4] .

ومن مجالات تكريم الإنسان في شخص الإنسان :

---

(١) سورة الجاثية . الآية رقم ١٢ و١٣ .

(٢) سورة يس . الآيات ٣٣ ـ ٣٦ .

(٣) سورة يس . الآيتان ٧١ و٧٢ .

(٤) سورة النحل . الآيات ٥ ـ ١٧ .

١ ـ نعمة الخلق . ولولا مشيئة الله وفضله ، لبقي الإنسان في ظلمة العدم ، ولم يكن شيئاً مذكوراً . قال تعالى : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾[1] .

٢ ـ نعمة الإنسانية . فقد شاء الله أن يخلقه بشراً سوياً ، ويستخلفه في الأرض ، ويفضله على كثير من خلقه . قال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[2] . ويتبع ذلك حسن الصورة الحسية والمعنوية : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[3] . ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم** ﴾[4] .

٣ ـ نعمة الإدراك والعلم : ﴿ **اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾[5] ، ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾[6] .

٤ ـ نعمة البيان النطقي والخطي : ﴿ **الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان** ﴾[7] ﴿ **الذي علم بالقلم** ﴾[8] ، ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾[9] .

٥ ـ نعمة الرزق . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم . هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض** ﴾[10]. وقال تعالى : ﴿ **قل**

---

(١) سورة الإنسان . الآية رقم ١ و ٢ .
(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٧٠ .
(٣) سورة التين . الآية رقم ٤ .
(٤) سورة التغابن . الآية رقم ٣ .
(٥) سورة العلق . الآية رقم ٣ ـ ٥ .
(٦) سورة النحل . الآية رقم ٧٨ .
(٧) سورة الرحمن . الآية رقم ١ ـ ٤ .
(٨) سورة العلق . الآية رقم ٤ .
(٩) سورة القلم . الآية رقم ١ .
(١٠) سورة فاطر . الآية رقم ٣ .

من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ﴾[1] .

فأنت ترى من هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ، وتولى أمر خلقه ، وخص الإنسان بالتكريم . وكان فيما علم الناس : أنه سبحانه خالق الكون وما فيه ، وأنه إلههم الذي تجب طاعته وعبادته . ثم أمره أن يورث علم هذه الحقيقة لذريته ففعل . وكانت هذه العقيدة ميراث الإنسانية عن الإنسان الأول . ولم تنقطع موالاته ـ سبحانه ـ له بتصحيح ما تشوه من عقيدته . على أيدي رسل كرام ، قلدهم الله هذه الوظيفة المقدسة . وظيفة تصحيح العقيدة والسلوك ، وإعادة ربط الإنسان بخالقه[2] . .

فمذهب الوحي يقوم على أسس أصيلة تثبت أن الإنسانية قامت على التوحيد الخالص . وما أصاب عقيدة التوحيد ، كان نتيجة للظروف المعقدة ، التي عاش الإنسان ضحية لها . .

---

(١) سورة سبأ . الآية رقم ٢٤ .
وراجع الدكتور يوسف القرضاوي الإيمان والحياة ص ١٢٣ و ١٢٤ ط مكتبة وهبة بالقاهرة . ١٩٨٧ م .
(٢) د/ رشدي عليان وسعدون الساموك الأديان دراسة تاريخية مقارنة ص ٤٩ .



الإنسان الذي يؤمن برسالة الإسلام ، لا يستطيع إلا أن يصدق النبيين والمرسلين الذين صدقهم الإسلام ، ودعا إلى الإيمان بهم .

وهذا يشكل حلقة في وحدة الإيمان التي أكد عليها الإسلام ، وتبناها في جانبه العقدي ، وتحدث عنها في القرآن الكريم .

ووحدة الإيمان هذه حقيقة تفرضها وحدة المصدر ، بصورة قاطعة ، لا تقبل الرد ، أو التشكيك ، ولا يغير من واقعها أبداً وجود فواصل البعد الزمني ، بين الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى عباده .

وربما يكون لعامل الزمن أثره الواضح في اختلاف التشريعات التي يفرض فيها أن تنسجم مع المستوى الفكري والمعاشي ، لمن تكون لهم ، ولكن الإيمان واحد في أساسه[1] .

وهناك آيات في القرآن الكريم تشير في وضوح إلى حقيقة وحدة الإيمان ، وتغيير التشريعات ، قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[2] .

---

(١) الدكتور أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٢ .

(٢) سورة الشورى . الآية رقم ١٣ .

وقال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾[1] .

فالآية الأولى تعني وحدة الإيمان في أسسه . .

والآية الثانية تعني متغيرات الشريعة ، وما يعود إلى الأعمال .

والإيمان هنا يعني العقيدة ممثلة بالأصول التي يقوم عليها الدين . ولن تجد هذه الأصول في الإسلام إلا مماثلة لتلك التي قامت عليها جميع الأديان السماوية ، التي كان عليها أنبياء ورسل ، بعثهم الله لهداية الناس ، على اختلاف العصور ، وتباعد الأزمنة[2] .

والأصول التي قامت عليها الأديان السماوية هي :

أولاً : الإيمان بالله تعالى رب العالمين ، الذي لا إله إلا هو وحده المعبود لا شريك له ، خالق كل ما في الوجود .

ثانياً : الإيمان بالغيب : اليوم الآخر ، البعث ، الجزاء ، الجنة ، النار ، الثواب ، العقاب . الملائكة .

ثالثاً : الإيمان بالنبيين والمرسلين ، وتصديقهم ، والأخذ بتعاليمهم ، وإرشاداتهم ، والعمل بما أنزل عليهم من وحي الله[3] .

هذه هي أصول الإيمان التي حملها كل نبي بعثه الله تعالى . وقد جمعت هذه الأصول آيات من القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾[4] .

يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته ، وناره ، ولقائه . ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، والبعث[5] .

وقال تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ٤٨ .

(٢) الدكتور أحمد السايح الفضيلة والفضائل في الإسلام ص ٢٦ ط الأزهر ١٩٨٤ م .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧ بتصرف .

(٤) سورة البقرة . الآيات ١ ـ ٤ .

(٥) الدكتور أحمد السايح الفضيلة والفضائل في الإسلام ص ٢٧ .

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[1] والآية كما ـ كما ترى ـ مشتملة على خمسة عشر خصلة . وترجع إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد . وآخرها قوله : ﴿ **والنبيين** ﴾ وافتتحها الله بالإيمان بالله واليوم الآخر . لأنهما إشارة إلى المبدأ والمعاد .

٢ ـ والستة التي بعدها . تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها ﴿ **وآتى المال** ﴾ وآخرها : ﴿ **وفي الرقاب** ﴾ .

٣ ـ والأربعة الأخيرة . تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل تهذيب النفس . وأولها : ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ وآخرها : ﴿ **وحين البأس** ﴾[2] .

فالإسلام في جانبه العقدي . أكد هذه الأسس تأكيداً واضحاً . ولكنه في الجانب الذي يستتبع الشريعة ـ أي جانب الالتزام والعمل ـ كان الإسلام الفصل الأخير في تكامل التشريعات .

وهذا الطابع الشمولي الملتقي في أسس العقيدة والتكامل التشريعي . هو الذي جعل من الإسلام : الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة . ولعل هذا هو السر الذي جعل من الإسلام كلمة تختص بالدين الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام[3] . وإذا أخذنا كلمة « الإسلام » بمعناها القرآني ، نجدها لا تدع مجالاً ، لهذا السؤال عن العلاقة ، بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية . فالإسلام في لغة القرآن ليس إسماً لدين خاص . وإنما هو اسم للدين المشترك ، الذي هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء[4] .

---

(١) سورة البقرة . الآية رقم ١٧٧ .

(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٨٥ .

(٣) راجع الدكتور أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٥ .

(٤) انظر الدكتور محمد دراز : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان . ص ١٧٥ .

فالدين منذ القدم هو الإسلام . وسمى الله منذ القدم مسلماً كل من اعتنق أسس هذه الديانة ، ديانة الله ، وسار على مضامينها من : إسلام الوجه لله ، وانقياد له ، وتوكل عليه ، وتسليم الأمر لمدبر الأمر ، ومصرف الكون .

ومن هذا يتضح أن وصف الإسلام ، ليس منصباً على كل من آمن بدعوة محمد في عهد محمد أو من بعده فحسب . بل هو وصف ولقب أطلقه الله ، من قبل على كل من آمن برسوله الذي بعث في زمنه ، وبكل من وحد ربه ، وأسلم وجهه ، وقلبه وأمره كله لله رب العالمين[1] .

والمسلم في عرف القرآن هو كل من آمن برسوله ، وكل من وحد الله . والمستتبع لآي القرآن يجد :

ـ قوله تعالى : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾[2] .

ـ وقوله تعالى : ﴿ **فإن أسلموا فقد اهتدوا** ﴾[3] .

ويجد أن كل شريعة ، قامت على التوحيد . قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[4] .

وكل رسول أو نبي بعث إنما دعا إلى الله ، وإلى دين الله . . ودين الله واحد ، حقيقته التوحيد ، وجوهره الإيمان بالله دون شريك أو نظير[5] .

فكلمة الإسلام في إطار اللفظ تعني في الأصل التسليم والخضوع . وفي مفهوم الدين ، ومن خلال إطلاقاتها فيه ، يراد منها : التسليم والخضوع لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .

وبهذا المعنى البسيط والتسليم والخضوع لأمر الله ومشيئته أطلقت على كل من آمن بالله ، وسلم لأمر الله ، عن أي طريق ، وباتباع أي رسول ونبي . فاتباع كل الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى ، وكل من يدين لله بأي دين من الأديان

---

(١) انظر محمود بن الشريف الأديان في القرآن ص ٣١ .

(٢) سورة الحج . الآية رقم ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران . الآية رقم ٢٠ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ٢٥ .

(٥) راجع الدكتور محمود بن الشريف الأديان في القرآن ص ٣١ .

السماوية . هم مسلمون بهذا المعنى ، ويصح إطلاق الإسلام عليهم . .

وفي آيات القرآن الكريم كثير من الآيات التي تشير إلى ذلك . إذ أن القرآن الكريم اعتبر كل من آمن بالله تعالى ، والتزم بطاعة أنبيائه مسلماً[1] .

– يقول نوح لقومه : **﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾**[2] .

– وإبراهيم يقول : **﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة ﴾**[3] .

– وقال تعالى : **﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لله رب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**[4] .

– وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : **﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾**[5] .

– وقال موسى : **﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾**[6] .

– وقال السحرة لفرعون : **﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾**[7] .

– وقالت بلقيس ملكة اليمن : **﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾**[8] .

---

(١) راجع الدكتور أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٥ .

(٢) سورة يونس . الآية رقم ٧٢ .

(٣) سورة البقرة . الآية رقم ١٢٨ .

(٤) سورة البقرة . الآية رقم ١٣٢ .

(٥) سورة البقرة . الآية رقم ١٣٣ .

(٦) سورة يونس . الآية رقم ٨٤ .

(٧) سورة الأعراف . الآية رقم ١٢٦ .

(٨) سورة النمل . الآية رقم ٤٢ .

ـ وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾[1] .

ـ وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ **رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين** ﴾[2] .

ـ والحواريون يقولون لعيسى : ﴿ **نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾[3] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي . قالوا آمنا واشهد بأنّنا مسلمون** ﴾[4] .

ـ أما محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين . فقد جاء في القرآن الكريم عنه : ﴿ **وأمرت لأن أكون أول المسلمين** ﴾[5] .

ـ وتسوق سورة فصلت هذا المبدأ الإسلامي للمسلمين : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾[6] .

إذن : لم يكن الإسلام ، مقتصراً على فئة ، دون فئة من المؤمنين ، فكل مسلم بحكم إيمانه وتسليمه لأمر الله ، وخضوعه لمشيئته . هو من المؤمنين . فالإسلام في هذا الإطار ، يتسع ليشمل كل من وضع قدمه ، وسار في مسيرة الإيمان[7] . وبالجملة نرى اسم الإسلام شعاراً عاماً يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم . منذ أقدم العصور التاريخية ، إلى عصر النبوة المحمدية ، ثم نرى القرآن الكريم يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم ديناً جديداً . وإنما هو دين الأنبياء

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ٤٤ .
(٢) سورة يوسف . الآية رقم ١٠١ .
(٣) سورة آل عمران . الآية رقم ٥٢ .
(٤) سورة المائدة . الآية رقم ١١١ .
(٥) سورة الزمر . الآية رقم ١٢ .
(٦) سورة فصلت . الآية رقم ٣٣ .
(٧) راجع الدكتور أحمد السايح [فلسفة الحضارة الإسلامية] ص ٢٧ .

من قبلهم : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾(١) .

ثم نراه بعد أن يسرد سيرة الأنبياء وأتباعهم ، ينظمهم في سلك واحد ، ويجعل منهم جميعاً أمة واحدة ، لها إله واحد ، كما لها شريعة واحدة ، ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾(٢) .

ما هذا الدين المشترك الذي اسمه الإسلام ، والذي هو دين كل الأنبياء والمرسلين ؟ إن الذي يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين . إنه هو التوجه إلى الله رب العالمين ، في خضوع خالص ، لا يشوبه شرك ، وفي إيمان واثق مطمئن ، بكل ما جاء من عنده ، على أي لسان ، وفي أي زمان أو مكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصي ، أو طائفي أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه ، أو بين رسول ورسول من رسله ، يقول القرآن : ﴿ **وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾(٣) ويقول : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾(٤) .

فالإسلام أصبح من بعد ، وعندما بعث الله محمداً ﷺ ، وبلغ رسالة ربه . أصبح مقتصراً على تلك الرسالة وحدها ومختصاً بها .

والآية الكريمة التي اعتبرت الدين عند الله الإسلام : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾(٥) . لا تعني إلا مجموعة المبادىء الإسلامية ، وتعاليم الإسلام .

وما ذلك إلا لأن معنى التسليم لأمر الله والخضوع لمشيئته ، الذي يعنيه الإسلام في مضمونه البسيط . أصبح له في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة الشورى . الآية رقم ١٣ .
(٢) سورة الأنبياء . الآية رقم ٩٢ .
(٣) سورة البينة . الآية رقم ٥ .
(٤) سورة البقرة . الآية رقم ٣٦ .
وانظر الدكتور محمد دراز الدين ص ١٧٦ .
(٥) سورة آل عمران . الآية رقم ١٩ .

أسس ثابتة ، لا يمكن تحققه إلا من خلالها ، وعبر واقعها .

وقد أصبحت التعاليم التي تضمنتها رسالة الإسلام . هي التي يمكن لها أن تعبر عنه في صيغته الأخيرة .

وهذه التعاليم تمثل المضامين العقدية ، وأصول الإيمان ، التي أكدها الرسل والأنبياء ، وتضيف إليها نظمها التشريعية المتكاملة الشاملة ، لمختلف جوانب الحياة .

إذن رسالة الإسلام هي الإسلام ، بعد أن كون في واقعه « وحدة الإيمان » وجاء بالشريعة الدائمة ، الصالحة لكل زمان ومكان . قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[1] .

ومن هنا كان الإسلام يشتمل على :

١ ـ امتداد زماني في المعتقد الديني ، يعرض لقضية البشرية من نشأتها إلى غايتها في إيجاز وإجمال . .

٢ ـ شمول موضوعي يغطي مجالات الحياة جميعاً : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وعقدية ، وتربوية ، وفكرية ، وأحداث تاريخية .

٣ ـ شمول يضم الأديان كلها . والمسلم مطالب بتصديق الأنبياء جميعاً[2] .

٤ ـ شمول الدعوة الإسلامية . وأنها لا تقتصر على جنس دون جنس ، أو قوم دون قوم . وإنما تنظر إلى الإنسان في جوهره . ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[3] .

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ٣ .

(٢) الدكتور أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

(٣) سورة الحجرات . الآية رقم ١٣ .

عوامل تدعو المسلمين إلى مقارنة الأديان

- فطرية الدين .
- شمولية الدين .
- عموم الدين .



لما كانت الفطرة ، فطرية الإسلام ، عاملاً من العوامل الذاتية في الإسلام ، التي دفعت الناس إلى الإقبال على الإسلام ، كان علينا أن نجلي مفهوم الفطرة في مفاهيم أهل اللغة ، ومفاهيم أهل الإصطلاح .

يقول ابن منظور : فطر الله الخلق يفطرهم : خلقهم وبدأهم . والفطرة الابتداء والاختراع . وفي التنزيل العزيز : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض . . .** ﴾[1] . قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي : أنا ابتدأت حفرتها[2] .

وذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : أنه سمع أعرابياً يقول : أنا أول من فطر هذا ، أي ابتدأه[3] . والفطرة ـ بالكسر ـ : الخلقة[4] . قال الشاعر :

هون عليك فقد نال الغنى رجل   في فطرة الكلب لا بالدين والحسب[5]

---

(١) سورة فاطر الآية رقم ١ .
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، جـ ٦ ص ٥١٩ .
(٣) ابن منظور لسنان العرب جـ ٥ ص ٣٤٣٣ مادة (فطر) .
(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٤٣٣ .
(٥) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٤٣٣ .

وفي القرآن الكريم جاء على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ **إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾[1] .

والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به[2] .

يقول الراغب الأصفهاني : وفطر الله الخلق ، هو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال . فقوله تعالى : ﴿ . . . **فطرت الله التي فطر الناس عليها** . . . ﴾[3] . إشارة منه تعالى إلى ما فطره ، أي : أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى . وفطرة الله : هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان[4] ، لأن من معاني الفطرة ذلك الإقرار بالرب ، نتيجة الميثاق ، الذي أخذه الله من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ ، قال تعالى : ﴿ **وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** . . . ﴾[5] . فهذا يعني : أن الخلق مجبولون على المعرفة بالله ، فهو شيء يجدونه في أنفسهم ، لا يستطيعون له دفعاً ، وإذا أصابتهم ضراء دعوا الله ورفعوا إليه أكفهم ، فمن أين جاءهم هذا التوجه إلى الخالق ، وأنه هو الذي يستطيع رفع الضر ؟ إنها الفطرة المركوزة فيهم ، ولولا أن في النفس قابلية لمعرفة الله ومحبته ، والذل له ، لما استطاع التعليم والتذكير أن يؤثر فيها ، فقوة المحبة لا تأتي من الخارج ، وإنما هي شيء في الداخل . ولما دعا الرسل أقوامهم إلى عبادة الله ، دعوهم إلى من يعرفونه ، ولم ينكر دعوتهم أحد[6] .

وأما إنكار فرعون ، فهو إنكار العارف ، كما قال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** . . . ﴾[7] وكما قال له موسى ـ عليه السلام ـ:

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧٩ .

(٢) ابن منظور لسان العرب جـ ٥ ص ٣٤٣٣ مادة (فطر) .

(٣) سورة الروم الآية رقم ٣ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٢ ط / دار المعرفة بيروت .

(٥) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

(٦) محمد سليمان ، من مشكاة النبوة ، مقال بمجلة البيان ، العدد / السابع عشر ص ٢٠ الصادر في شعبان ١٤٠٩ هـ ـ عن المنتدى الإسلامي بلندن .

(٧) سورة النمل آية ١٤ .

﴿ . . . لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض . . . ﴾[1] .

وبعض العلماء يذكر أن المراد بالفطرة: الإسلام، ويستدل هؤلاء بقول الله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] .

يقول ابن كثير : فسدد وجهك ، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم ، الذي هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه ـ تعالى ـ فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما في قوله تعالى : ﴿ . . . **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** . . . ﴾[3] .

ويقول الزمخشري في تفسيره : « فقوم وجهك له، وعد له غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً ، وهو تمثيل لإقباله على الدين ، واستقامته عليه ، وثباته واهتمامه بأسبابه ، فإن من اهتم بالشيء ، عقد عليه طرفه ، وسدد إليه نظره ، وقوم له وجهه ، مقبلاً به عليه[4] .

و (فطرت الله) أي : الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، والفطرة : الخلقة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ . والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام ، غير نائين عنه ، ولا منكرين له ، لكونه مجاوباً للعقل ، مساوقاً للنظر الصحيح ، حتى ولو تركوا ، لما اختاروا عليه ديناً آخر[5] .

ويقول سيد قطب : (فأقم وجهك للدين حنيفاً) أي : واتجه إليه مستقيماً فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة ، التي لا تستند على حق ، ولا تستمد من علم ، إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ولا دليل . أقم

---

(١) سورة الإسراء . آية ١٠٢ .

(٢) سورة الروم الآية رقم ٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٢ . وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٣٢٠ .

(٤) الزمخشري الكشاف جـ ٣ ص ٢٠٤ .

(٥) الزمخشري الكشاف جـ ٣ ص ٢٠٤ . بتصرف واختصار .

وجهك للدين حنيفاً مائلاً عن كل ما عداه ، مستقيماً على أمره دون سواه[١] .

﴿ ... **فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ... ﴾[٢]

وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية ، وطبيعة هذا الدين ، وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه ، والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ، ليحكمه ويصرفه ، ويشفيه من المرض ، ويقومه من الانحراف ، وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير والفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة ، لم يردها إليه إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة ، فطرة البشر ، وفطرة الوجود[٣] .

فأنت ترى من خلال تفسير ابن كثير ، والزمخشري ، وسيد قطب : أن الفطرة هي الإسلام .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ: « **ما من مولود يولد إلَّا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا ﴿ ... **فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ... ﴾[٤] . قالوا يا رسول الله : أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » .

فالرسول ـ ﷺ ـ يرشدنا إلى أن تغيير هذه الفطرة يقع بتأثير الوالدين ، أو تأثير البيئة ، ولذلك شبه المولود بالبهيمة الجمعاء ، التي تولد سليمة ، مجتمعة الخلق ، لا تغيير فيها ولا تشويه ، ولكن الناس يغيرون خلقها بعدئذ ، فيشقون آذانها أو غير ذلك . فالفطرة لو تركت دون تأثير خارجي ، سواء من الوالدين أو غيرهم ، وأزيحت عنها العوائق من الشبهات والشهوات ، فهي تقتضيه بذاتها لدين الإسلام[٥] .

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٧٦٧ .

(٢) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٧٦٧ .

(٤) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٥) محمد سليمان ، من مشكاة النبوة ، مجلة البيان ، العدد السابع عشر ص ٢٠ بتصرف .

ويقول أحد المفكرين ، وعامة السلف ، وجمهور المحدثين ، على أن المراد بالفطرة في الحديث : الإسلام . وقالوا : **إن فطرة الله التي فطر الناس عليها هي** : الإسلام ، وذكر هذا عن كثير من السلف في تفسير الآية السابقة[1] . قالوا : دين الله هو الإسلام ، والأدلة على ذلك كثيرة :

أولاً : أن الرسول ـ ﷺ ـ لما ذكر هذا الحديث سألوه عن أطفال المشركين ، فقال لهم : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »[2] . فلو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوه عن ذلك ، لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة ، ما داموا بين أبوين كافرين ، وقوله ـ ﷺ ـ : « **فأبواه يهودانه أو ينصرانه** » : بين أنهم يغيرون الفطرة التي ولدوا عليها .

ثانياً : لقد شبه الرسول ـ ﷺ ـ ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة غير مجدوعة ، لا نقص فيها ، ثم يطرأ عليها النقص بعد ذلك بجدعها فعلم من ذلك أن التغيير وارد على الفطرة السليمة .

ثالثاً : الحديث مطابق لما في الآية الكريمة : ﴿ . . . **فطرت الله التي فطر الناس عليها** . . . ﴾[3] وهذه الآية وصف الله بها الدين الذي أمر نبيه بأن يقيم وجهه له في قوله : ﴿ . . . **فأقم وجهك للدين حنيفاً** . . ﴾[4] ثم قال : ﴿ **فطرت الله** ﴾ . والإضافة هنا : للمدح والتشريف ، فعلم أنها فطرة ممدوحة ، لا مذمومة : ويؤيد هذا كله الروايات الأخرى التي فسرت الفطرة بأنها : الحنيفية ، وبأنها هذه الملة ، يعني : الإسلام .

رابعاً : ولو كانت الفطرة هنا شيئاً غير الإسلام ، لكان الرسول ـ ﷺ ـ قد

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾ .
سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٢) يقول ابن منظور في كتابه « لسان العرب » تعليقاً على هذا النص النبوي : يذهب إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر .
لسان العرب جـ ٥ ، ص ٣٤٣٤ . مادة (فطر) .

(٣) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٤) سورة الروم الآية ٣٠ .

ذكر الإسلام في جملة ما ذكر من الأديان التي تفسد الفطرة بالتحول إليها ، ولقال : « **فأبواه يهودانه وينصرانه أو يسلمانه** » ولكنه لم يذكره ، لأنه الدين الذي تتغير الفطرة بتحولها عنه ، وليس بتحولها إليه[1] .

وإذا كانت الفطرة تقتضي الإسلام ، فهذا يعني : طروء الكفر، وأنه ليس هو الأصل في النفس البشرية ، وقوله تعالى : ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ أي : لا تبديل لدين الله ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . .** ﴾[2] .

أخرج ابن كثير في تفسير هذه الآية قول قتادة : (كان الناس أمة واحدة) قال : « **كانوا على الهدى جميعاً ثم اختلفوا فيه** »[3] .

وأما ما جاء في سورة الكهف في قصة موسى ـ عليه السلام ـ والرجل الصالح الذي قتل الغلام ، فلا يعني هذا : أن كفر هذا الغلام كان موجوداً حين الولادة ، لذلك جاء في الحديث الصحيح : « **إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً** »[4] . فقوله (طبع) أي طبع في الكتاب ، أي : قدر وقضى ، فهو مولود على الفطرة السليمة ، ولكن يتغير بعدئذ فيكفر ، كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء ، وقد سبق في علمه ـ سبحانه وتعالى ـ أنها تجدع ، كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة[5] .

وقد قتل الصحابة في سرية من السرايا أولاد المشركين ، فأنكر عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك ، فقالوا : أليسوا أولاد المشركين فقال : « أليس خياركم

---

(١) د. محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي ص ٢٣٥ ، ط . مطبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢١٣ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٣٦٥ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه في موضعين ، كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر جـ ٤ ص ١٨٥٢ .

(٥) محمد سليمان ، من مشكاة النبوة ، مجلة البيان ، العدد ١٧ ص ٢١ .

أولاد المشركين ؟»[1] . ثم قام فيهم خطيباً فقال : « ألا أن كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عنه لسانه »[2] .

فهذا يبين أن الكفر طرأ بعد ذلك[3] .

ومما ينبغي معرفته في ذلك : أن الرسول ـ ﷺ ـ إذا قال : « كل مولود يولد على الفطرة » يعني : على الإسلام أو الحنيفية فليس المراد أنه خرج من بطن أمه ، وهو يعلم هذا الدين ويعرفه ، لأن الله يقول : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾[4] . ولكن المراد : أن فطرته موجبة ومقتضية لمعرفة كل ما هو حق ، ومحبة كل خير ، ونفس الفطرة تستلزم الإقرار بالحق ، ونشدان الخير ، ولهذا فقد استدل بالفطرة السليمة على معرفة الخالق ـ سبحانه ـ، والإقرار بربوبيته ، لأن معرفته رأس الخير كله ، وموجبات الفطرة تحصل بعد ذلك شيئاً بعد شيء ، بحسب درجة استعداد الطفل لتحصيل ألوان المعارف ، وحرصه على ذلك وبحسب كمال فطرته ، إذا سلمت من المعارض[5] ، فالفطرة الطبيعية تتجلى في الطفل صريحة ، دون تكلف أو تصنع[6] .

وإذا كان من البدهيات في حس كل مسلم ومسلمة أن خالق هذه الفطرة هو منزل هذا القرآن ، وهو الله ـ تعالى ـ فمن الطبيعي أن نعلم يقيناً أن هذا الدين لا بد أن يكون موافقاً للفطرة ، إذ يستحيل أن يكون في دين الله أو شرعه أمراً يخالف ويعارض ما فطره عليه ، فالحكيم العالم بما خلق ، ومن خلق ،

---

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ، جـ ٥ ، ص ٨٤ . ورواه أحمد في مسنده ، جـ ٢ ص ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٤٧١ .

(٢) بهذا اللفظ : أحمد في مسنده ، جـ ٣ ص ٣٥٣ .
ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة جـ ٤ ص ٢١٤٨ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ ، وفيه لفظ « يعبر »، « ويبين » بدلاً من « يعرب ».

(٣) محمد سليمان ، من مشكاة النبوة ، مجلة البيان ، العدد ١٧ ، ص ٢٢ ,

(٤) سورة النحل الآية رقم ٧٨ .

(٥) د. محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ص ٢٣٥ .

(٦) د. علي عبد العظيم ، إن الدين عند الله الإسلام ، ص ٢٥ ط . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، القاهرة سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

يضع الشريعة المناسبة له ، والملائمة لخلقه ، وكل أمر شرعي يخطر في بالك أنه يعارض الفطرة ، فيجب أن تعلم أنه لا يخلو من احتمالين :

الأول : إما أنه أمر شرعي ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة فمخالفته للفطرة وهم .

والثاني : إما أن يخالف الفطرة فعلاً ، ولكنه لا يكون أمراً شرعياً ، وإن نسبه الناس إلى الدين بغير علم ولا هدى[1] .

ومن الخصائص الأساسية للعقيدة الإسلامية : أنها عقيدة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فعندما دعا الإسلام البشر جميعاً إلى الايمان بالله والعبودية له وحده ، كان لهذه العقيدة صدى في أعماق فطرة الإنسان[2] . . فهي مخالفة لفطرة الإنسان ، وحينما جاء الإسلام موافقاً للفطرة الإنسانية السليمة دخل الناس في دين الله أفواجاً ، لأنه تعامل مع رصيد الفطرة المكنون ، وهو رصيد ضخم هائل لا تقف أمامه أي قوة ، حين يستنفذ ، ويجمع ، ويوجه ، ويطلق في اتجاه سليم مرسوم[3] .

وحسبنا في بيان هذا أن نشير إلى : أن الإسلام في ناحية العقيدة لا يأمر إلَّا بعبادة إلّه واحد ، لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك فلم يقل بإلهين اثنين متشاكسين ، كما قالت الثنوية ، حين زعم دعاتها : أن الحياة صراع بين إله الخير ، وإله الشر ، وليس فيه شيء من الأسرار المسيحية مثل « سر التثليث » و « سر القربان » وتحوله إلى لحم المسيح ودمه ، هذه الأسرار التي لا يصل أحد من رجال المسيحية أنفسهم إلى أن يدركوها إدراكاً عقلياً صحيحاً ، ولهذا يطلبون من أتباعهم الإيمان بها ، دون محاولة فهمها ، ولكن هيهات ، وفكرة الوساطة في المسيحية بين الله وعباده فكرة لا يستسيغها العقل ولا يرى لها ضرورة ، ولا يعرف لها غاية ، فإنه لا معنى لتوسط رجل من رجال

---

(١) سلمان بن فهد العودة ، نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة ، ص ٩ط . الرياض سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

(٢) د. السيد رزق الطويل ، العقيدة في الإسلام ص ٨٧ ، ط . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٣) سيد قطب ، هذا الدين ص ٥٠ ، ط . سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

الدين بين الله ، وبين أحد من الناس ، والله العليم بكل نفس ولا حجاب بينه وبين أحد من خلقه ، ولهذا يرى الإسلام أن لكل واحد أن يتجه لله مباشرة بعقله ، ويرفع إليه رجاءه بلا وسيط من رجال الدين[1] ، وفي هذا جاء في القرآن الكريم : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** . . ﴾[2] . وكذلك فكرة أن الإنسان ولد وجاء إلى هذه الحياة مثقلاً بالخطيئة الأصلية التي لا يستطيع منها فكاكاً ، وتقول بها المسيحية ، ونعرفها نحن من كتبها التي بين أيدينا ، وهم يعنون بها أن الإنسان يولد وعليه وزر خطيئة آدم ـ عليه السلام ـ جده الأعلى حين خالف عن أمر ربه ، وأكل من الشجرة التي حرم الله قربانها ، وبذلك يحملونه وزراً لم يجنه ، ويجعلونه يعيش طول حياته وهو رازح تحت أثقال هذه الخطيئة المزعومة ، ومن ثم يطلبون من الإنسان أن يؤمن بعقيدة الصلب والفداء ، أي : صلب المسيح الإله ، تفدية للبشر ، مما لحقهم من هذه الخطيئة الأصلية[3] .

وكيف يستطيع عقل الإنسان أن يؤمن بأن « الإله » ـ كما زعموا ـ يتمكن منه أعداؤه ، فيصلبونه وهو يستغيث ، ولا مغيث له ، على حين يقول القرآن الكريم ـ كتاب الإسلام ـ عن آدم عليه السلام : ﴿ . . . **وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾[4] . كما يقرر أنه ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، كما يقرر من ناحية أخرى : أن الإنسان يولد بريئاً من كل ذنب أو خطيئة ، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وأن من يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأن الله ـ تعالى ـ أمره هو القوي العزيز ، فلا ينال منه أحد[5] .

وفطرية العقيدة دليل واقعيتها ورسوخها ، وتقبل الناس في يسر لها كما

---

(١) كان على الدكتور / محمد يوسف موسى الذي نقلت عنه هذا النص من كتابه الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ألا يستعمل عبارة رجال الدين في الجانب الذي يخص المسلمين لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين ، وإنما علماء دين .

(٢) سورة البقرة ، الآية رقم ١٨٦ .

(٣) د. محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص ٤٣ .

(٤) سورة طه ، الآيتان ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٥) د. محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص ٤٣ .

أنها عنصر هام في تأثيرها في الأخلاق والسلوك ، وحوار القرآن الكريم للمشركين ، وتقديم هذه التساؤلات لهم :

- ﴿ . . . أفي الله شك . . ﴾[1] .
- ﴿ . . . أإله مع الله . . . ﴾[2] .
- ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق . . . ﴾[3] .
- ﴿ . . . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه . . . ﴾[4] .

يؤكد أن لهذه التساؤلات صدىً في أعماق الناس ، يدفعهم إن استقامت فطرتهم إلى الجواب السديد[5] .

فالإسلام دين الفطرة دون منازع ، أي : إنه الدين الذي يتلائم كل الملائمة مع الخليقة ، ومن هنا صح لنا ولغيرنا أن نسميه دين البشرية وما كان الإسلام ليسمى دين البشرية اعتباطاً أو تحمساً ، ولكن ما جاء به هذا الدين من دستور يقبله العقل ، وهداية يستنير بها القلب ، وعمق يرتكز عليه الايمان ، وتطور يصلح لكل زمان ومكان وشريعة تنظم أحوال المجتمع ومساواة تربط بين جميع الناس ، وتأمين للنفس البشرية يجعلها تطمئن إلى حياة أخرى ، تلقى النعيم بقدر ما قدمت من خير ـ مع فضل الله ورحمته ـ كل ذلك وغيره جعل الإسلام أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ديناً ترتضيه وسراجاً تهتدي به ، وصمام أمان يرد على النفس طمأنينتها إذا هزها ريب ، أو اعترتها شكوك[6] .

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملأه علم وثقافة، ولا فلسفة وإنما

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية رقم ١٠ .
(٢) سورة النمل ، الآيات : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) سورة النحل ، الآية رقم ١٧ .
(٤) سورة لقمان ، الآية رقم ١١ .
(٥) د. السيد رزق الطويل ، العقيدة في الإسلام ص ٨٨ .
(٦) د ـ مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، ص ـ ٣٩ ، ط . البابي الحلبي بمصر ، سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

يملأه الإيمان بالله ـ جل وعلا ـ[1] فاعتقاد الأفراد والجنس الإنساني بـأسره في الخالق ، اعتقاداً اضطرارياً قد نشأ قبل حدوث البـراهين الدالـة على وجوده ، ومهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفولته ، فلا يستطيـع أن يحدد السـاعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة وصار لها أكبر الآثار في حياته ، فقد حدثت هذه العقيدة في أنفسنا ، ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا[2] .

« فالطفل حين ولادته لا يكون لديه إدراك لهذا الأمر ، ولا تعقل له ، ولا إرادة في تحصيله ، لأن الله ـ سبحـانه وتعـالى ـ يقول : ﴿ **والله أخـرجكم من بـطون أمهاتكم لا تعلمـون شيئاً وجعـل لكم السمع والأبصـار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾[3] . ولكنه يولد وفي فطرته قوة تحصيل النافع ، وكلما ازداد الطفل علماً وإرادة ، حصل له من معرفته بالخير ، وطلب النافع ، بحسب ذلك العلم والإرادة ، وهذا مشاهد في حياة الأطفال قبل بلوغ سن الإدراك والتمييز ، فإنهم يحبون النافع لهم ، ويهربون من الضار ، بحسب كمـال تمييزهم أو ضعفـه . وكل ذلك يحدث فيهم على التدريج شيئاً فشيئاً ، إلى أن يصل إلى الحد الذي ليس في الفطرة استعداد لقبوله ، كمعرفة الغيبيات ، وقضايـا الألوهيـة فتتوقف الفـطرة عن قبـول ذلـك ، مـا لم تهتـد بمـا جـاءت بـه الـرسـل الـذين بعثـوا لتكميلها[4] .

ولا شك أن النفوس يحصل لها من العلوم بحسب ما تكتسبه منها . وإذا لم يكن في النفوس قوة تقتضي معرفة هذه العلوم ، لما استطاعت أن تعلم شيئاً منها ولعل أكبر دليل على ذلك : أننا لو قمنا بمحاولة لتعليم الإنسان والحيوان . لما حصل للحيوان من العلوم مثل ما يحصل لبني آدم منها ، مع أن السبب في المـوضعين واحد ، فـالإنسان يشـارك الحيوان في الإحسـاس والنمو والحـركة

---

(1) د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العـامة في الإسـلام ، ص ١١ ، ط . مكتبة وهبـة بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

(2) محمـد فريـد وجدي ، دائـرة معارف القـرن العشرين ، جـ١ ص ٣١٤ . طـ . الأولى بمصر . د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ص ١٦ .

(3) سورة النحل ، الآية رقم ٧٨ .

(4) د. محمد السيد الجلينـد ، قضية الخير والشر ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

الإرادية ، ولكن الحيوان ليس بقابل لما يقبله الإنسان من المعارف ، ولولا أن في الفطرة قوة تقتضي اختصاص الإنسان بذلك لما حصل له من العلوم ما يميزه عن الحيوان[1] .

ويذكر الباحثون أنه إذا ما اشتد الجوع بالإنسان ، فإنه بفطرته يبحث عن الطعام ، ليسد جوعه ، وإذا ما برح به الظمأ فإنه بدافع من فطرته يبحث عن الماء ليروي غلته ، وإذا ما اشتد عليه البرد ، فإنه بسوق من فطرته يتلمس ما يدفع به البرد عن نفسه ، وأما ما يتكون في نفسه من خيالات وعواطف وأفكار فإنه يعمل فكره باحثاً عما يعبر من خلاله عنها من كلمات أو إشارات بإلحاح من فطرته ، وفي النفس الإنسانية مطامح روحية ، وأشواق غيبية ، لا بد للإنسان أن يبحث عما يشبعها ويقنعها ، وذلك أمر فطري أيضاً[2] .

إن من فطرة الإنسان أن يبحث عن وجود خالق ، وأن تجذبه فطرته للعبادة ، وأن توقد الشوق في نفسه ، وتنبه عقله للحاجة إليها ، وقلما تجد أحداً لا يلقى ذلك في نفسه[3] .

فالنفوس لا يمكن أن تكون خالية عن الشعور والإرادة والحركة ، لأن هذه المعاني من لوازم كونها نفساً ، فالشعور والإرادة من لوازم حقيقتها ولا تتصور النفس إلا أن تكون شاعرة ومريدة ، وما دامت هي مريدة وشاعرة ، فلا بد لها من مطلوب مراد ، ضرورة كونها مفطورة على ذلك ، وكل مراد قلَّما أن يراد لنفسه أو يراد لغيره ، والنفس لها مرادات كثيرة ومتنوعة ، غير أنها على كثرتها لا بد أن تنتهي إلى مراد واحد تكون إرادتها له بذاته لا لغيره ، منعاً للتسلل في العلل الغائية ، وذلك المراد لنفسه هو الخير والحق ، الذي يتمثل في معرفة الله أولاً ، باعتباره حقيقة الحقائق ، وواهب كل خير ، ثم معرفة النافع للنفس ثانياً ولا تخلو كل نفس عن هذا اللون من المعرفة ، لأن ذلك من لوازم كونها نفساً

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دعوة الفطرة ، ص ٥٩ ، ط . دار العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دعوة الفطرة ، ص ٥٩ ، ط . دار العاصمة بالرياض ، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وعلى هذا الأساس المغروز في طبائع كل بني آدم ، كانت مخاطبة القرآن للناس على سبيل التفكير[1] .

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية ، وقبولها بواقعها ، ومحاولة تهذيبها ورفعها ، لا كبتها وقمعها[2] .

لقد جاء الإسلام موافقاً لطبيعة الإنسان ، مراعياً رغباته ، غير متنكر لضروراته ، يكرم دوافع جسده ، وحاجات شهوته ، لا يعاديها ولا يستقبحها ولا يدمر نفس الإنسان ولا يحارب فطرته باسم الروحانية والسمو ، والتطهير والملائكية ، والترفع على الشهوات الهابطة ، إن الإسلام جاء ليأخذ بيد هذه الدوافع ليجندها ويوظفها في سبيل عمارة الأرض ، وبقاء البشرية ، ودوام الحياة يعترف بإنسانية الإنسان ، وبحاجاته الفطرية ، ويوجهها إلى الله ، ويربطها بطاعته ، وهي تدرك أوطارها وتلبي آمالها ، يجمع في آن واحد بين رغبات الجسد وأشواق الروح ، وغايات الحياة ، بتناسق وتوافق بديع[3] .

ويمتاز الإسلام عن غيره من الأديان بأن النفس متى ارتضته وآمنت بروحه ، واطمأنت إلى تعاليمه ، لا تحيد عنه أو ترضى غيره بديلاً ، ذلك لأنه أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ، ولذلك فإننا لم نجد مسلماً خرج عن إسلامه إلى غير الإسلام ، إلا في حالات نادرة ، لا يكاد يحسب لها حساب ، فهذه فرنسا ـ على سبيل المثال ـ قد احتلت الجزائر منذ سنة ١٢٤٥هـ ـ ١٨٣٠م وظلت مائة وثلاثين سنة ، حاربت فيها الإسلام حرباً لا هوادة فيها وبثت المبشرين في جميع أصقاع تلك البلاد ، فما استطاعوا أن يخرجوا غير مسلم واحد عن دينه ، أي أن مائة وثلاثين سنة ، من هدم الإسلام والتنصير المسيحي ، لم تستطع أن تخرج من الإسلام إلا مسلماً واحداً[4] ، وما ذلك إلا

---

(١) ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، جـ ٤ ص ٩٦ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ط . الأولى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
ابن القيم ، شفاء العليل ، ص ٢٨١ ، ط . مكتبة المعارف بمصر .

(٢) د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دعوة الفطرة ، ص ٣٦ ، بتصرف .

(٣) د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دعوة الفطرة ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٤) د. مصطفى الكشعة ، إسلام بلا مذاهب ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

لأنه أوفق دين للخليقة ، وأنسب عقيدة للإنسان ، بينما نرى كل يوم عشرات من أبناء الديانات الأخرى إلى يومنا هذا يدخلون في الإسلام ، راضين متحمسين ، ومن هنا كان فضل الإسلام على الشعوب عظيماً ، لقد مدن الإسلام كثيراً من الأمم ، بل ما من شعب اعتنق الإسلام إلا وسار في مدارج الحضارة ، وآية ذلك واضحة في جزيرة العرب نفسها ، التي انتقلت بعد إسلام أهلها إلى أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتنشر راية العرفان والإيمان ، خفاقة في جميع أنحاء المعمورة ولم يعرف للعرب من الإنتصارات الباهرة ، والفتوحات الرائعة ما قد عرف لهم قبل إسلامهم[1] .

ومن ثم « فنشر الإسلام وسيادة عقيدته ، قديماً وحديثاً في أسرع وقت وبأيسر جهد ، إنما يرجع إلى واقعية هذا الدين ، وبساطة عقيدته ، ولم يشهد التاريخ تحولاً جماعياً لأمم وشعوب ، كانت في ذروة الحضارة ، كما شهد في الإسلام ، إذ اعتنقته جماعات بأسرها ، مرحبة بعقيدته السمحة ، ومبادئه الواقعية ، واجدة فيه الخلاص الأكبر من جاهلية توبق النفس ، ووثنية تزهق الروح ، وركام يطمس الفطرة »[2] .

إن الإسلام دين الفطرة ، عقيدته تستمد ضياءها وصفاءها وتألقها من وهج الفطرة التي براها الله ، طاهرة ناصعة ، ولقد تعجب إذ ترى الدول الصليبية تنفق أموالاً طائلة على التبشير « التنصير » بالنصرانية وتحويل المسلمين عن إسلامهم ، تساند ذلك بالوسائل العلمية ، ولكنها وبرغم الجهود المضنية لا تظفر على المدى الطويل باجتذاب أحد إلى النصرانية أو استهواء جماعة إلى الكفر ، وأنا أقصد الذين تمكنت منهم عقيدة الفطرة . . أما الذين يعيشون في فراغ عقدي ، فهم المرتع الخصب لأهداف الدول الصليبية ، مما يدعو الأمة الإسلامية ، بل يوجب عليها إعداد الدعاة ومواجهة التحديات ومما لا يكاد يخفى : « أن الفطرة في الإسلام ليست تفكيراً خالصاً ، ولا شعوراً محضاً ، إنها مزيج من التفكير والشعور ، والدين قد جاء يخاطب الفطرة كلها يخاطب

---

(١) د. مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) توفيق محمد سبع ، واقعية المنهج القرآني ، ص ٨٢ ـ ٨٤ ، ط . مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

الفكر والشعور معاً ، يخاطب العقل والقلب جميعاً ، والذين يعتمدون على سلطان العقل وحده في الوصول إلى عقيدة راسخة ، وفكرة كلية واضحة ، تفسر هذا الوجود ، وتحل ألغازه . قد جاوزوا بالعقل حدوده واختصاصه ، وأهملوا جانباً مهماً في الفطرة الإنسانية ، هو جانب الشعور والوجدان ، جانب العقل . كما أغلقوا على أنفسهم باباً واسعاً ، ما كان أحوجهم إليه ، وما أضل سعيهم بغيره ، هذا الباب هو : باب الوحي[1] .

ولا بد لنا من أن نتبين الفرق بين الفطرة والتقليد ، فالتقليد نوع من التبعية للآخرين . . أما الفطرة : فنور موثوق به ، في داخل الإنسان ، يحتوي على ضمان أحقيته في ذاته . وكل الأدلة الخارجية كونية أو عقلية ، إنما هي منبهات على هذه الفطرة ، ولا يصرف الإنسان عن عقيدة الفطرة ، إلا أهواء غالبة ، أو نزوع إلى تقليد الآباء والأجداد ، وبهذا كانت مهمة رسل الله كافة في جميع الأعصار ، هي تحويل الناس من عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق ، وكان نداؤهم الأول إلى أقوامهم : ﴿ . . . **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** . . ﴾[2] . ﴿ . . . **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** . . . ﴾[3] . فالكون وما فيه من نظام وأحكام وتناسق وإبداع ، ليس هو وحده الشاهد ، وإنما هناك شاهد آخر ، هو الشعور المغروس في النفس الإنسانية وهو شعور فطري ، فطر الله الناس عليه ، وهو المعبر عنه بالغريزة الدينية .

فالعقيدة الإسلامية عقيدة الفطرة ، تتناسق تعاليمها مع الفطرة السليمة البعيدة عن الأهواء ، ويجد العقل المستنير في تعاليمها : الحق والخير ، لأنها منزلة من عند الخالق العالم بما خلق . « وعلى ذلك فالإسلام لا يعتمد في ثبات تلك العقيدة ، وغرس شجرتها في القلب على مجرد التلقين ، ولا يريد من الناس أن ـ يعتنقوها عن تقليد ، بل لا بد من قبولها عن فهم ونظر وبحث وإدراك »[4] .

---

(١) د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دعوة الفطرة ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٢) سور النحل الآية رقم ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٥٩ ، ٨٥ وذكر القرآن الكريم هذا القول على لسان نوح وصالح وشعيب ـ عليهم السلام .

(٤) د. مصطفى عبد الواحد ، خصائص العقيدة الإسلامية ص ١٦٦ ، (ندوة محاضرات =

وللفطرة الصحيحة معالمها الواضحة ، وسماتها البارزة ، وأنوارها الساطعة والحق واحد لا يتعدد ، لأنه خط مستقيم ، والخط المستقيم هو : أقصر طريق بين نقطتين ، ولذلك لا يكون إلا واحداً ، ولعل أول معلم في دين الفطرة هو : أن يعرف الإنسان ربه معرفة واضحة صادقة . والتوحيد الذي هو حق الله على عباده ، غرسه الله في طبائع الناس ، يخرج به كل مولود ، ولا يميل عنه إلا من حاد عن الجادة ، وانصرف عن سلامة الخلقة .

لقد جاء الدين الإسلامي مقراً بالفطرة ، غير متنكر لها ، وجاء هذا الدين موافقاً لهذه الفطرة في عقائده وأحكامه ، ولذلك سمي دين الفطرة . وجاء الدين منظماً للفطرة ، ففتح أمامها الأبواب والطرق السليمة ، التي تلبي حاجتها وتشبع جوعها ، لئلا تنحرف إلى غيرها . وجاء الدين ـ أيضاً ـ مزكياً للفطرة موجهاً لها نحو الأفضل والأطهر[1] .

وبعد هذا البيان في كون عقيدة الإسلام هي : عقيدة الفطرة والحياة ، فقد حدد الإسلام ذلك بآيتين ، وأولى الآيتين : ذكرت الفطرة بحروفها ، في قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** . . ﴾[2] . فالآية ـ كما ترى ـ تشير إلى عقيدة الفطرة التي طبع عليها الإنسان .

وثاني الآيتين ، قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** . . . ﴾[3] . فإذا جمعنا بين آية الحياة وآية الفطرة ، وعطفناهما معاً على قول الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ . . . **إن الدين عند الله الإسلام** . . ﴾[4] . يكون المعنى المحصل من مجموع الآيات الثلاث : أن الإسلام هو دين الفطرة والحياة ، ولهذا كانت الفطرة عاملاً مهماً من العوامل التي فتحت الطريق أمام الإسلام ، ليملأ القلوب ، وجعلت الناس يقبلون على الإسلام أفراداً وجماعات .

= العالم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) .

(١) سلمان بن فهد العودة ، نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة ص ٩ ـ ١٣ بتصرف واختصار .

(٢) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٩ .

لقد اتسم الإسلام باعتباره دين الحياة ، وشريعته شريعة الزمان كله ، والأجيال كلها ، اتسم بالإحاطة والاستيعاب والشمول . لم تند عنه من حياة الناس أو مشكلاتهم أو أقضيتهم ، شاردة أو واردة صغيرة أو كبيرة ، سواء في ذلك بداوتهم أو حضارتهم وتقدمهم مع يسر الحياة أو تعقدها ، إذ احتوت نصوصه من صور المرونة والحيوية ، ما أتاح للناس بها حرية الحركة ، وبسرعة التكيف ، ويسر الأداء ، ومنحهم من أجل ذلك القرآن والسنة ، منها ينطلقون ، وفي ظلالها يسيرون ، وفي نورها يهتدون ويستنيرون .

ومن هنا كان الشمول من الخصائص التي تميّز بها الإسلام ، عن كل ما عرفه الناس ، من الأديان ، والفلسفات ، والمذاهب بكل ما تتضمنه كلمة الشمول من معاني وأبعاد[1] .

فالإسلام نظام شامل لكافة شؤون الحياة ، وسلوك الإنسان ، وهذا الوصف للإسلام وصف حقيقي ثابت للإسلام ، لا يجوز تجريده منه ، إلا بالافتراء عليه حقداً وكراهية ، أو بسبب الجهل به وشمول الإسلام هذا لشؤون الحياة ، وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ، ولا التخصيص[2] . فالتصور

---

(١) د/ يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ص ٩٩ .

(٢) د/ عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٤٩ ط دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

الإسلامي لتكوين الإنسان تصور واقعي ، يتطابق مع طبيعة هذا المخلوق ، لأن مصدر هذا التصور هو الخالق الذي خلق ، ويعلم من خلق .

وإذا قيل : إن الإنسان يتكون في إجمالي من البدن الذي يمثل الجانب المادي ، والقلب الذي يمثل الجانب الروحي ، والعقل الذي يمثل الجانب الفكري فإن التصور الإسلامي لهذا التكوين يتميز عن غيره من المذاهب الفاسدة ، والديانات المنحرفة في جانبين :

الجانب الأول : عطاء الإسلام لهذه العناصر الثلاثة فنموها وإشباعها . .

الجانب الثاني : تحقيق التوازن في نمو هذه العناصر نموّاً منتظماً متكاملاً ، لا يطغى فيه جانب على آخر[1] .

فالنظرة العامة للتصور الإسلامي يحقق هذا التوازن ، الذي يصلح لعامة الناس ولخواصهم ، فيجمعون بين القلوب التقية ، والأبدان القوية ، والعقول الذكية [2] .

ولكي نقيم الحجة على شمول الإسلام ، فيما تناوله من شؤون الحياة ، وشموله في عطائه للإنسان ، نتناول مظاهر الشمول فيما يأتي :-

أولاً : شمول العقيدة الإسلامية :

وذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة من أي جانب ينظر الإنسان إليها لقد جاء الإسلام من جوف الصحراء العربية ، بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد ، صحّحت فكرة الفلسفة النظرية ، كما صحّحت فكرة العقائد الدينية فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ـ في جانب النقض منها ـ أعظم المعجزات التي أثبتت في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحي من عند الله [3] .

ومن ثم ـ كما يقول العقاد ـ: كانت هذه العقيدة الإلهية في الإسلام

---

(1) د/ محمود رأفت سعيد : التوازن في التصور الإسلامي ص ٨ و ٩ بتصرف واختصار ، ط دار الهداية بالمنصورة سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(2) المصدر السابق ص ١٥ .

(3) العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه جـ ٥ ص ٤٠ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد .

مصححة لكل عقيدة سبقتها في مذاهب الديانات ، أو مذاهب الفلسفة ، ومباحث الربوبية .

فهي عقيدة كاملة ، صححت المعتقدات في (الكارما والنرفانا) . باعتبار أنها عقيدة في خواء أو فناء مسلوب الذات ، لا تجاوب بينه وبين أبناء الحياة .

وهي عقيدة كاملة ، صححت عقيدة المعلم الأول بين فلاسفة الغرب الأقدمين لأنه كان على خطأ في فهم التجريد والتنزيه ، ساقه هذا الخطأ إلى القول بكمال مطلق ، كالعدم المطلق في التجرد من العمل والتجرد من الإرادة والتجرد من الروح .

ودين يصحح العقائد الإلهية فيما سبقه من ديانات الأمم وحضاراتها ومذاهب فلاسفتها[1] .

وما كان الشمول في العقيدة الإسلامية ليذهب فيها مذهباً أبعد وأوسع من خطاب الإنسان روحاً وجسداً وعقلاً وضميراً ، بغير بخس ولا إفراط في ملكة من هذه الملكات[2] .

والعقيدة الإسلامية توصف بالشمول ، لأنها تفسّر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود . القضايا التي شغلت الفكر الإنساني ، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال ، وتتطلب الجواب الحاسم ، الذي يخرج الإنسان من الضياع والشك والحيرة ، وينتشله من متاهات النحل المتضاربة ، قديماً وحديثاً ، فإذا كانت بعض العقائد تعنى بقضية الإنسان دون قضية الألوهية والتوحيد ، أو بقضية الألوهية دون قضية النبوة والرسالة ، أو بقضية النبوة دون قضية الأجزاء الأخرى فإن عقيدة الإسلام قد عنيت بهذه القضايا كلها ، وقالت كلمتها فيها ، بشمول واضح ووضوح شامل[3] .

ولهذا جاءت تشريعات الإسلام لجميع الناس ، ولكافة مراحل تطور

---

(١) العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه جـ ٥ ص ٦٠ و ٦١ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٢ .

(٣) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٠٦ .

الإنسان من الميلاد إلى الوفاة ، وبذلك تشمل كيان الفرد كله ، والمجتمع بأسره ، والناظر في تشريعات الدعوة الإسلامية يرى أنها كانت مع الإنسان جنيناً في بطن أمه ، وبعد مولده وفي شبابه ورجولته ، وتسايره هكذا في أطواره المختلفة ، حتى يأتيه أجله[1] .

وتتمثل خاصية الشمول التي يتسم بها الإسلام في رد هذا الوجود كله بنشأته ابتداء ، وحركته بعد نشأته ، وكل انبثاقة فيه ، وكل تحوّر ، وكل تغير ، وكل تطور . والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه إلى إرادة الذات الإلهية السرمدية ، الأزلية ، الأبدية المطلقة[2] .

وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول ، لأنها عقيدة لا تقبل التجزئة ، ولا بد أن تؤخذ كلها بكل محتوياتها دون إنكار[3] .

وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي حقق للإسلام ما لم يتحقق لعقيدة أخرى من تحويل الأمم العريقة التي تدين بالكتب المقدسة إلى الإيمان به عن طواعية واختيار ، كما آمنت به الأمم المسيحية والمجوسية ، والبرهمية في مصر وسوريا ، وفارس ، والهند ، والصين .

إن شمول العقيدة الإسلامية ، هو العامل القوي الذي يجمع إليها النفوس ، ويحفظ لها قوة الإيمان[4] .

ثانياً : شمول العبادة في الإسلام :

وتتمثل ظاهرة الشمول الإسلامي في عباداته كما تمثلت في عقيدته ، فالعبادة في الإسلام تستوعب الكيان البشري كله ، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فحسب ، أو ببدنه فقط ، أو بقلبه لا غير ، أو بعقله مجرداً ، أو بحواسه وحدها ، بل يعبد الله بهذه كلها ، بلسانه ذاكراً ، داعياً ، تالياً ، وببدنه مصلياً

---

(١) د/ أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ص ٢٠٠ .

(٢) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ص ٩٢ ط دار الشروق سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٣) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١٠٨ .

(٤) العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٦ .

صائماً مجاهداً ، وبقلبه خائفاً ، راجياً ، محباً ، متوكلاً ، وبعقله متفكراً ، متأملاً وبحواسه كلها مستعملاً لها في طاعته ـ سبحانه وتعالى ـ[1] قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾[2] . وإن هذا النص القرآني الكريم ـ كما يقول الشهيد سيد قطب ـ: ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة . ومن جوانب هذه الحقيقة : إن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر ، ونحن نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان ، نعرفها من القرآن الكريم ، من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . .** ﴾[3] . فالخلافة في الأرض عمل هذا الكائن الإنساني ، وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي ، من أجل عمارة الأرض ، والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقق الإرادة الإلهية ـ سبحانه وتعالى ـ في استخدامها وتنميتها ، وترقية الحياة فيها كما تقتضي الخلافة : القيام على شريعة الله في الأرض ، لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع السنن الكونية ، ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة ـ التي هي غاية الوجود الإنساني ، أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى ـ أوسع وأشمل من مجرد الشعائر ، وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً[4] .

وإذا كانت العبادة غاية الوجود الإنساني كما هي : غاية كل وجود ، فإن مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذي يرد إلى الذهن ، والذي يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة ، التي يؤديها المؤمن .

والعبادة بمعناها العام : تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى ـ وفق شريعته الغراء[5] .

---

(١) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١٠٨ و ١٠٩ .
(٢) سورة الذاريات . الآيات : ٥٦ ـ ٥٨ .
(٣) سورة البقرة . الآية رقم ٣٠ .
(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣٨٦ و ٣٣٨٧ بتصرف واختصار .
(٥) د/ عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ص ١٤٨ .

والعبودية ـ كما بيّنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ تشمل كل ما يحب الله ويرضى ، من الأقوال والأفعال[1] .

ولقب العبادة : يطلق على كل عمل تتحقق فيه الشروط الآتية :

١ ـ أن يكون العمل نافعاً ومفيداً ، وصالحاً في الحياة .

٢ ـ أن يراد بهذا العمل وجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لارتباط الأعمال بالنيات « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[2] .

٣ ـ أن يؤدي العمل بلا مخالفات شرعية « فكل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »[3] .

فإذا تحققت هذه الشروط في أي عمل ، نستطيع وبكل اطمئنان : أن نلقبه بالعبادة ، وإنه مما يحب الله ويرضى ، وإنه في سبيل الله[4] .

والغرض من العبادات ـ كما يذكر العقاد ـ: تنبيه المتدين إلى حقيقتين ، لا ينساهما الإنسان في حياته العامة أو الخاصة :

الحقيقة الأولى : التي يراد من العبادة المثلى أن تنبه إليها ضمير الإنسان على الدوام ـ هي : وجوده الروحي ، الذي ينبغي أن تشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه الجسدية ، وغير شهواته الحيوانية .

الحقيقة الثانية : التي يراد من العبادة المثلى أن تنبه إلى ضميره ـ هي : الوجود الخالد الباقي ، إلى جانب وجوده الزائل المحدود في حياته الفردية .

وعبادة المسلم في جميع فرائضها تتكفل له بالتنبيه الدائم إلى هاتين الحقيقتين[5] .

لقد عدّ الإسلام قضية التوحيد قضيته الأولى ، وقضيته الكبرى . توحيد الألوهية ، وإفرادها بخصائصها ، والاعتراف بها لله وحده ، وشمول العبودية

---

(١) ابن تيمية ، رسالة العبودية ص ٤ ابن تيمية ، الفتاوي جـ ١٠ ص ١٤٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوحي ، باب كيف كان الوحي إلى رسول الله ﷺ جـ ١ ص ٩ وفي كتاب الإيمان باب ما جاء من الأعمال بالنية جـ ١ ص ١٣٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري كتاب البيوع باب النجش .

(٤) د/ محمد رأفت سعيد ، التوازن في التصور الإسلامي ص ٢٧ و ٢٨ .

(٥) العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١١١ و ١١٢ باختصار .

لكل شيء ، ولكل حيّ ، وتجريدها من خصائص الألوهية جميعاً[1] .

قال كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ: مرّ على النبي ـ ﷺ ـ رجل ذكر أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا في سبيل الله فقال : « إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة ، فهو في سبيل الشيطان »[2] .

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن أناساً ، قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضل أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ، إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »[3] .

ثالثاً : شمول التشريع الإسلامي :

والتشريع الإسلامي تشريع كامل بكل معنى الكلمة ، فما من حدث ولا عمل يصدر عن الإنسان، ولا علاقة تقوم بينه وبين غيره إلاَّ وللشريعة حكم فيها[4].

إن الإسلام لا يشرع للفرد دون الأسرة ، ولا للأسرة دون المجتمع ، ولا للمجتمع منعزلاً عن غيره من المجتمعات . إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبده وصلته بربه ، وهذا ما يفصله قسم العبادات في الفقه الإسلامي .

ويشمل التشريع الفرد في سلوكه الخاص والعام ، وهذا يشمل ما يسمى

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ص ١١٦ ط دار الشروق .
(٢) أورده المنذري في الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٥٢٤ بهذا اللفظ عن طريق كعب بن عجرة ورواه البيهقي في السنن الكبرى جـ ٧ ، ص ٤٧٩ .
(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة جـ ٢ ص ٣٢٥ .
(٤) د/ عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ص ٥١ .

الحلال والحرام ، أو الحظر والإباحة[1] .

وارتبط التشريع الإسلامي بالإيمان بالله ، والاعتقاد بوحدانيته ، ومنهجه الذي ينظم شؤون الحياة في جميع جوانبها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، إذ أن ـ رسالة الإسلام عامة شاملة ، تنظم العلاقة بين الخالق والمخلوق ، كما تنظم حياة الإنسان في الدنيا تنظيماً يربطها بالعقيدة ، ويخضعها لأحكام التشريع الإسلامي[2] .

والإسلام حين يبني تشريعه ومنهجه للحياة على هذا الأساس ، إنما يهدف إلى غاية يعمل على تحقيقها في كل جوانب الحياة ، هذه الغاية هي : صلاح المجتمع الإسلامي ، وتحقيق الخير والفلاح له في كل شؤون حياته ، ودفع الضرر والفساد الذي يصيب الفرد أو المجتمع ، إذا أعرض عن هدى الله وخالف أمره[3] .

كما أن الشريعة الإسلامية لم تأت لوقت دون وقت ، أو لعصر دون عصر ، أو لزمن دون زمن ، وإنما هي شريعة كل وقت ، وكل عصر ، وكل زمن ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن يراجع أحكام الشريعة ، يجد أنها كاملة لا نقص فيها ، ولا قصور ، شاملة لأمور الأفراد والجماعات والدول ، فقد صيغت نصوص الشريعة ، بحيث لا يؤثر على نصوصها مرور الزمن ، ولا يبلي جدتها ، ولا يقتضي تغيير قواعدها العامة ، ونظرياتها الأساسية[4] .

ولهذا وجدنا التشريع الإسلامي يشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع ، بعوض أو بغير عوض من

---

(١) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١١٤ و ١١٥ .

(٢) د/ عبد العظيم فوده ، الحكم بما أنزل الله ص ٢١ ط دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

(٣) المصدر السابق ص ٢١ .

(٤) محمد صالح عثمان ، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ص ١٦٨ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠١ هـ .

البيوع والإجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة والضمان وغيرها[1] .

والباحث في التشريع الإسلامي وما جاء به يكتشف في وضوح : أن التشريع الإسلامي شامل لجميع شعب الحياة من أعمال الأفراد ، وعباداتهم ، وسيرهم ، وأخلاقهم ، وعاداتهم ، وآدابهم في الأكل والشرب والجلوس ، والقيام واللباس والكلام ، والشؤون الأسرية ، والصلات الجماعية ، والقضايا المالية والاقتصادية ، والإدارية ، وحقوق الوطن وواجباته ، والعدالة ، ومرافق الحكومة ، وحالات السلم والحرب ، والعلاقات بالأمم الأجنبية وما إليها[2] . مما عنيت به كتب السير ، أو الجهاد في الفقه الإسلامي . . ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة ، إلا دخل فيها التشريع الإسلامي ، آمراً ، أو ناهياً أو مخبراً[3] .

وحسب الباحث والدارس : أن أطول آية نزلت في كتاب الله ـ تعالى ـ نزلت في تنظيم شأن من الشؤون المدنية ، وهو المداينة ، وكتابة الدين ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليّه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾[4] .

---

(١) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١١٥ .
(٢) محمد صالح عثمان ، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ص ١٦٩ .
(٣) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١١٥ .
(٤) سورة البقرة . الآية ٢٨٢ .

والآية تتضمن : إرشاد الله لعباده المؤمنين ، إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها ، وأضبط للشاهد فيها[1] .
والآية تتضمن كثيراً من الأحكام الدالة على شمول التشريع الإسلامي ،

فما هناك شعبة من شعب الحياة، ولا أمر من أمورها، إلّا وقد تناولتها الشريعة الإسلامية، وأوضحت لنا فيها الخير من الشر، والطاهر من الخبيث، والصحيح من الفاسد ، وهي بذلك تعطينا صورة كاملة ، ومبدأ راسخ لنظام صالح للحياة ، وتوضح لنا بكل تفصيل ما هي الحسنات التي يجب أن نقيمها ونرقيها وننميها ، ونأخذ بها ، وما هي السيئات التي يجب أن نعمل على محوها ، واستئصال شأفتها ، والبعد عنها ، وما هي الحدود التي يجب ألا تتجاوزها حريتنا[2] .

ويمكن للباحث أن يتعرف على أمثلة للشمول في التشريع الإسلامي كثيرة ، مثل :

ـ أحكام الأسرة من نكاح وطلاق ، وإرث ونفقة ، وتسمى في الاصطلاح : بأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية .

ـ أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم ، كالبيع والإجارة ، والرهن ، والكفالة .

ـ أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى ، وأصول الحكم ، والشهادة ، واليمين ، والبينات .

ـ أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية ، والحقوق التي يتمتعون بها ، والتكاليف التي يلتزمون بها .

ـ أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ص ٤٩٥ .
(٢) محمد صالح عثمان ، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ص ١٦٩ .

- أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده ، وشكل الحكومة ، وعلاقات الأفراد بها ، وحقوقهم إزاءها .

- أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ، ومصارفها ، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة ، وبين الأغنياء والفقراء .

- أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة ، من جهة الأفعال المنهي عنها ، والجرائم ، وإنزال العقوبات بالمجرمين ، وكيفية تنفيذها(١) .

ويبدو شمول التشريع الإسلامي في أمر آخر ، أو بعد آخر ، وهو : النفاذ إلى أعماق المشكلات المختلفة وما يؤثر فيها وما يتأثر بها ، والنظر لها نظرة محيطة مستوعبة مبنية على معرفة النفس الإنسانية ، وحقيقة دوافعها ، وتطلعاتها ، وإشراقها ، ومعرفة الحياة البشرية ، وتنوع احتياجاتها ، وتقلباتها ، وربط التشريع بالقيم الدينية ، والخلقية بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها(٢) .

فالنظم الإسلامية ما ضاقت عن حاجة ، ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحة ، أو عدالة بل وسعت مصالح الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم ، وألوانهم ، إذ كانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية تمتد رقعتها من بلاد الصين شرقاً ، إلى جبال إسبانيا غرباً ، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية تخفق الراية الإسلامية على ممالكه ، وكانت هذه الولايات المختلفة تضم أمماً متباينة الأجناس ، والعادات والأديان ، والمصالح من عرب وفرس وروم وغيرهم ، وقد نظمت الدولة الإسلامية شؤون هذه الأمم ، والشعوب بنظم وتشريعات إسلامية(٣) .

رابعاً : شمول الأخلاق في الإسلام :

ومن أهم خصائص وسمات الاتجاه الخلقي في الإسلام : الشمول ، وذلك لشمول الإسلام لجميع جوانب الإنسان في الإيمان والعبادة ، وفي

---

(١) د/ عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ص ٣٠ .
(٢) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١١٥ و ١١٦ .
(٣) محمد صالح عثمان ، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ص ١٧٠ .

المعاملة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقد اتسمت الأخلاق بالشمول ، لقوة وعظمة العلاقة بين الإنسان وخالقه القائمة على العبودية لله وحده ، لا شريك له ، والدينونة لله وحده ، بلا منازع ، وشمول هذه العبودية لكل شيء[1] .

فالاتجاه الخلقي للإسلام لم يدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية، إلا رسم له المنهج الأقوم والأمثل لقواعد السلوك . . ففي جانب الإيمان يقول الرسول - ﷺ -: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »[2] . فقوله - ﷺ - صريح في أن الأخلاق من الإيمان ، ولذا عدَّ الإسلام الإيمان برّاً ، قال الله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾[3] . فالبر صفة للسلوك الخلقي ، ومن هنا كانت الأخلاق في الإسلام لا تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية . . روحية أو جسمية دينية أو دنيوية . . عقلية أو عاطفية . . فردية أو اجتماعية ، إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع[4] .

وما من خصلة حث عليها القرآن الكريم ، إلا كان تقدير جمالها بمقدار نصيبها من الوازع النفساني ، أو مقدار ما يطلبه الإنسان من نفسه ، ولا يضطره أحد إلى طلبه[5] ومن هنا : كان الشمول بين جوانب النفس سمة للاتجاه الخلقي في الإسلام ، وإن من أخلاق الإسلام ما يتعلق بالفرد في كافة نواحيه .

ـ جسماً له ضروراته ، وحاجاته ، يمثل هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾[6] .

---

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ص ٨١ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، جـ٢ ص ٥٠ و٤٧٢ و٥٢٧ ورواه الترمذي في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها جـ ٥ ص ١١٠ وزاد فيه وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً ، وقال حديث حسن صحيح .

(٣) سورة البقرة . الآية رقم ١٧٧ .

(٤) د/ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ١١٠ .

(٥) العقاد ، الفلسفة القرآنية جـ ٧ ص ٣٦ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد .

(٦) سورة الأعراف . الآية رقم ٣١ .

وقول الرسول - ﷺ : « إن لبدنك عليك حقاً »[1] .

– وعقلاً له مواهبه وآفاقه . قال تعالى : **﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾**[2] .

– ونفساً لها دوافعها ومشاعرها وأشواقها . قال تعالى : **﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾**[3] .

فالإسلام يتجلى شموله في أنه : يتناول الإنسان والكون والحياة ، ثم تناول الإنسان من جميع جوانبه ، الخارجية المادية ، والداخلية الروحية ، لتستقيم حياته وسلوكه وأخلاقه ، وقد ربط بينهما بتوازن دقيق ، قال تعالى : **﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾**[4] . وبذلك وازن الإسلام بين روح الإنسان وجسده ، وبين فرديته وجماعيته ، وبين دنياه وآخرته ، فلا تنشطر سريرته وحياته أشطاراً مختلفة ، كما هو الحال في المذاهب البشرية الأخرى[5] .

والإسلام يلائم بين المادة والروح ، ويوفق بين الدنيا والآخرة ، ويربط بين العبادة والحياة ، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة توظف الإنسان على أن يؤدي حق ربه ، وحق نفسه ، وحق غيره بكل دقة وأمانة وتساو وتنسيق ، وبهذا يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة الاجتماعية العملية بكل طاقاته ، وأشواقه ، على أسس مبادىء الإسلام ، القائمة على الشمول ، والتي توافق الفطرة ، وتتلاءم مع واقعية الحياة[6] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، ولم يرد عليه قضاء ، جـ ٤ ص ٢٠٩ .

(٢) سورة يونس . الآية رقم ١٠١ .

(٣) سورة الشمس . الآيتان : ٩ و ١٠ .

(٤) سورة القصص . الآية رقم ٧٧ .

(٥) د/ محمد نبيل غنايم ود/ عمر سليمان الأشقر وآخرين . دراسات في الثقافة الإسلامية ص ٢٣ ط الثانية ، مكتبة الفلاح بالكويت سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٦) عبد الله ناصح علوان ، هذه الدعوة ، ما طبيعتها ؟ ص ٤٣ ط الثانية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالأسرة ، كالعلاقة بين الزوجين ، وفضيلة هذه ـ العلاقة : إنها علاقة سكن ، تستريح فيها النفوس إلى النفوس ، وتتصل بها المودة والرحمة والمشاركة القلبية والوجدانية(١) . قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾(٣) .

ومن أخلاق الإسلام في الأسرة : العلاقة بين الأبوين والأولاد ، والعلاقة بين الأقارب والأرحام .

ومن أخلاق الإسلام : ما يتعلق بالمجتمع في آدابه ، وفي اقتصاده ، ومعاملاته وفي سياسته وحكمه(٤) .

ومن أخلاق الإسلام : ما يتعلق بالحيوان والطير ، لأن من فضائل الإنسان المهذب : أن يكون رؤوفاً بالضعفاء ، عطوفاً على البؤساء ، رفيقاً بالمحتاج إلى الرفق من الخلق ، رحيماً بمن مسّه الضر ، وعضّه الدهر ، جاهداً في كشف ضره ، وتفريج كربه ، والإحسان إليه ، والعطف عليه ، متخلقاً بهذه الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، يجد فيها إمتاع نفسه وانشراح صدره ، وارتياح قلبه ، بريئاً من القسوة ، وتحجّر القلب ، وجمود العاطفة ، لا بالنسبة لأخيه الإنسان فحسب ، بل وكذلك بالنسبة للحيوان الأعجم ، الذي لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا عنها دفعاً ، بل يكون به أرفق ، وله أرحم ، وتسلك صفات الرحماء من الناس ذوي النفوس الزاكية ، والقلوب النقية الصافية التي ترحم العاجز الضعيف

---

(١) د/ أحمد السايح ، وصبري عبد الرؤوف ، الأسرة المسلمة ص ٦٩ .

(٢) سورة الروم . الآية رقم ٢١ .

(٣) سورة النساء . الآية رقم ١٩ .

(٤) د/ يوسف عبد الله الهادي الشال ، الإسلام وبناء المجتمع الفاضل ص ١٩٦ ـ ٢٨١ ط الأزهر سنة : ١٣٩٢ هـ / ١٩٧١ م .

وتبرّه ، ولو لم يكن من بني الإنسان ، وتبغض الجور والعسف وتمقته ، ولو في أمر الحيوان[1] .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « الراحمون يرحمهم الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

(١) حسنين محمد مخلوف ، الرفق بالحيوان ص ٥ ط مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

العقيدة بالدين حاجة روحية ، ضرورية لصلاح البشر فلا يختص بها فريق من الناس ، دون باقي البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمي ، يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة ، أبيضها وأسودها ، وأحمرها عربيها وعجميها . هكذا لا بد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة ، يشعر كلاً منهم أن له عقيدة يطمئن إليها وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا والآخرة ، بالله وبالإنسان ، فالناس أمة واحدة في هذا الدين الجديد ، هذا الدين هو دين البشر[1] .

والدين يكون عالمياً : بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية ، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص ، أو بيئة معينة . ويكون عالمياً بامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه . بمعنى أن يكون الدين صالحاً لكل جنس ، وكل جيل ولكل زمان ومكان ، وبمعنى آخر : يكون الدين عالمياً : إذا كان شريعة الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة ، التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان ، وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دين[2] .

ونود أن نتعرف على الخصائص التي يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون

(١) محمد عزت الطهطاوي ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣٠٨ ، ط : مكتبة النور ، بالقاهرة ، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص ١٠ .

عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان . ونجمل هذه الخصائص في ثلاث :-

١ ـ وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعاً ، فيما يصون وحدتها ، ويرعى إنسانيتها ويحمي أفرادها في العاجل والآجل .

٢ ـ تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد ، لا تنزع معه إلى عصبية دم ، أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

٣ ـ اتساقه مع حقائق الكون ، وخصائص الوجود ، بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر[١] .

وكذلك لا يكون عالمياً إلَّا إذا صحب الإنسان في جميع أزمانه المتطورة، وعصوره المتلاحقة ، أي : يكون خالداً ، لا يعتريه نسخ أو زوال ولا عقم ولا جمود ، موفياً بجميع مطالب الإنسان المتنوعة المتجددة في كل الميادين التي يزاول فيها الإنسان بعقله الواسع نشاطه الكامل . ولا يوجد دين من الأديان السماوية فيه هذه المواصفات التي تجعله عالمياً ، إلا دين - الإسلام[٢] .

والعالمية من القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام ، لأن مجتمع الإسلام هو مجتمع الإنسانية كلها ، مجتمع ليس لجغرافيته حدود ، وليس للعنصرية فيه وجود[٣] .

فالرسالة الإسلامية قد توجهت للناس كافة ، من جميع الأجناس والألوان ، وفي كل العصور . . وبالعالمية التي اتصف بها الإسلام ، يتميز عما سبقه من رسالات سماوية كانت تتوجه إلى أقوام بعينهم ، في عصر معين[٤] .

ولذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن أقوام بلغتهم رسالات سماوية ، وينسبهم القرآن إلى أنبيائهم ، كما في الحديث عن قوم نوح ، وهود ،

(١) محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٤٦ ، ط : دار العربية ، بيروت .

(٢) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١١ .

(٣) د. إبراهيم عوضين ، الإسلام والإنسان ، ص : ٢٨١ ، ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٤م.

(٤) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامي ، ص : ١٠ ، ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وصالح ، ولوط وشعيب ، وموسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل .

قال تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه . . .** ﴾[1] .

﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾[2] .

﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً . . .** ﴾[3] .

﴿ **ولوطاً إذ قال لقومه . . . .** ﴾[4] .

﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً . . .** ﴾[5] .

﴿ **ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائيه . .** ﴾[6] .

وقال تعالى في شأن عيسى ـ عليه السلام : ﴿ **ورسولاً إلى بني إسرائيل . . .** ﴾[7] .

فهذه النسبة هي التي تبين وتوضح أن الرسالة مخصوصة بهؤلاء القوم ، فقد أرسل الأنبياء بإصلاح أقوام ، أو مجتمعات بعينها ، وحققت هذه الرسالات أهدافها ، بتصحيح أصل العقيدة ، ومنهاج الحياة ، فيما يحتاج إلى إصلاح[8] .

وترى في آيات القرآن الكريم أمثلة كثيرة للإصلاح في العقيدة ، حينما يتوجه الأنبياء إلى من أرسلوا إليهم بالبعد عن الشرك ، وبعبادة الله وحده .

قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[9] .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٨٠ .

(٥) سورة الأعراف الآية رقم ٨٥ .

(٦) سورة الأعراف الآية رقم ١٠٣ .

(٧) سورة آل عمران الآية رقم ٤٩ .

(٨) جمال الدين محمود [أصول المجتمع الإسلامي] ص : ١٠

(٩) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥ .

كما نرى أن بعض الأنبياء توجه بجانب الدعوة إلى عبادة الله وحده بتوجيهات تتعلق بالسلوك أو المعاملات بين الناس ، مثل عدم ارتكاب الفاحشة :

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾[1] .

أما الإسلام : فهو يهدف إلى رسم إطار المنهاج الإلهي لحياة البشر في كل زمان ومكان ، ولذلك غطى منهجه العقيدة والأخلاق والتشريع ، بطريقة تجعله لا يقف أمام الاختلافات العارضة والمؤقتة بين بني الإنسان ، والتي لا صلة لها بفطرة الإنسان ، كما خلقه الله جسداً وروحاً ، وباستعداده الفطري للاتجاه إلى الملأ الأعلى .

فلا يخفى أن الإنسان بحسب فطرته ينزع إلى البحث فيما وراء ذاته ، أو الموجودات التي تدركها حواسه ، وهي فطرة الإنسان التي يتساوى فيها الإنسان العالم في المدينة ، مع الإنسان البدائي في قلب الغابة . . واستجابة لهذا النزوع الذي لا يختص به إنسان دون آخر ، ولا جنس دون غيره ، فإن الإسلام يقدم له العقيدة التي تستجيب لكافة تطلعاته، حين يرتقي الإنسان ، ويستشرف آفاقاً عالية في علاقاته مع غيره[2] .

وإن الإنسان وهو يتابع عالمية الإسلام يلحظ بوضوح : أن العالمية في الإسلام ، قد قامت على عناصر متكاملة :

أولاً : وحدانية الإله ، وإنكار تعدد الآلهة ، ومن هنا كان أساس الايمان في شريعة محمد ـ ﷺ ـ : أن يكون بالله وحده لا شريك له ، وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه . . واقتضى هذا العنصر :

١ ـ وحدانية الربوبية ، فلا خالق ، ولا مدبر ، ولا متصرف سواه .
٢ ـ ووحدانية الألوهية . فلا معبود ، ولا مسؤول ، ولا مستعان سواه .
وبالوحدانية بشقيها دعا الإسلام[3] .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٨٠ .
(٢) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامي ، ص : ١١ .
(٣) محمد الطهطاوي ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣١١ ـ ٣١٢ بتصرف .

فالايمان بالله معناه : إفراده ـ سبحانه وتعالى ـ بالألوهية والربوبية ، فلا شريك له في الخلق ، ولا شريك له في تصريف الأمور ، ولا يتدخل في تصريفه للكون والحياة أحد ، ولا يرزق الناس معه أحد ، ولا ينفع أو يضر غيره أحد ، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيراً أو كبيراً إلا بإذنه ورضاه[1] .

إذن هذا الايمان الذي جاء به الإسلام : هو الايمان الشامل الذي يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته في الأرض إلى يوم القيامة الضاربة الجذور في أعماق الزمان ، السائر في موكب الدعوة ، وموكب الرسول ـ ﷺ ـ ، وموكب الايمان الممتد في شعاب التاريخ البشري ، الايمان الذي يتمثل البشرية كلها منذ نشأتها إلى نهايتها[2] .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾[3] .

ثانياً : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء ، سواء منها ما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ، وما أنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن هذا الايمان عنصر من عناصر الإسلام ، لا يتحقق إلا به[4] .

قال تعالى : ﴿ **ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾[5] . فالايمان بالله يقتضي الاعتقاد بصحة كل ما جاء من عند الله ـ عز وجل[6] .

ثالثاً : الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده ، من لدن آدم

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ : ١ ، ص : ٣٤١ .
(٢) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، بتصرف .
(٣) سورة البقرة الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .
(٤) محمد الطهطاوي ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣١٨ .
(٥) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥ .
(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ : ١ ، ص ٣٤٢ .

ـ عليه السلام ـ إلى محمد ـ ﷺ ـ لأن الله اصطفاهم من عباده وحملهم رسالته عن طريق ملائكته .

قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . .** ﴾[1] .

فالإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقتضي صدق كل الرسل ، الذين يبعثهم الله ، ويقتضي الايمان بوحدة الأصل ، الذي تقوم عليه رسالتهم وتتضمنه الكتب التي نزلت عليهم ، ومن ثم لا تقوم التفرقة بين الرسل في ضمير المسلم ، فكلهم جاء من عند الله بالإسلام في صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم ، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين محمد ـ ﷺ ـ فجاء بالصورة ـ الأخيرة للدين الواحد ، لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة[1] .

فالايمان بوحدانية الله ، والايمان بكتبه ، ورسله ، عناصر رئيسية في العالمية التي جاء بها الإسلام . . ولكن ألا ترى معي : أن عالمية الإسلام قضية لا بد لها من أدلة تدعمها ، وشواهد تثبتها ، ولهذا سأحاول أن أعرض هذه الأدلة لتكون علائم الكمال ، ومعالم الطريق في عالمية الدين الإسلامي .

المجموعة الأولى : أدلة تعتمد على ما ورد في كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ـ ﷺ ـ من قوله وفعله . إذن هذه الأدلة تقوم على الكتاب والسنة . . . وأدلة الكتاب : جاءت منها آيات مكية ، تدل على أن وصف العالمية لازم الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى ، ومنذ أشرقت على الناس ، كما جاءت منها آيات مدنية تنبىء عن العالمية واستمراريتها .

ومن الآيات المكية :

قوله تعالى : ﴿ **وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾[1] .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ٤٣ .
(٢) سورة الشورى الآية رقم ١٣ .
(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ح : ١ ، ص : ٣٤٢ ، بتصرف .
(٤) سورة القلم الآية رقم ٥٢ .

وقوله تعالى : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين** ﴾[3] .

ومعنى من كان حياً : كل من ثبتت له الحياة[5] . وهذه الآية تبين وظيفة القرآن : بأنه نزل على الرسول ـ ﷺ ـ لينذر به من به حياة[6] .

وقوله تعالى : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾[7] .

وقوله تعالى : ﴿ . . . **وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** . . ﴾[8] .

وقوله : ﴿ **ومن بلغ** ﴾ : عطف على المخاطبين من أهل مكة ، أي : لأنذركم به ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم ، وقيل : من الثقلين ، وقيل : من بلغه القرآن إلى يوم القيامة[9] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **ومن بلغ** ﴾ : قول آخر ؛ وهو أن يكون بمعنى : احتلم ، وبلغ حد التكليف[10] .

---

(١) سورة التكوير الآية رقم ٢٧ . وسورة يوسف الآية رقم ١٠٤ .
(٢) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .
(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨ .
(٤) سورة يس ، الآيتان : ٦٩ ـ ٧٠ .
(٥) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٨ .
(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ : ص : ٢٩٧٥ .
(٧) سورة الفرقان الآية رقم ١ .
(٨) سورة الأنعام الآية رقم ١٩ .
(٩) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، جـ ٦ ، ص : ١٨٨ .
(١٠) المصدر السابق . ويقول سليمان بن عمر الشهير بالجمل في تفسيره في « ومن بلغ » =

وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير** ﴾[2] .

وأم القرى : هي مكة . وهي قلب الأرض ، بمنزلة الرأس من الجسد لسائر الدنيا[3] ومن حولها : أهل البدو والحضر[4] . ويشمل كل الناس غير المقيمين فيها فكل حي على وجه الأرض مقيم حول مكة ، فهي مركز الدائرة ، وقطرها ممتد بين كل نقطتين على المحيط العالمي[5] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[6] .

هذه معظم الآيات المكية التي جاء فيها التأكيد الواضح لعالمية الإسلام .

= ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه في محل نصب عطفاً على المنصوب في « لأنذركم »، وتكون « من » موصولة ، والعائد عليها من صلتها محذوف ، أي : ولأنذر الذي بلغه القرآن .

والثاني : أن في « بلغ » ضميراً مرفوعاً يعود على « من » ويكون المفعول وهو منصوب المحل ـ أيضاً ـ نسقاً على مفعول « لأنذركم »، والتقدير ولأنذر الذي بلغ الحلم ، فالعائد هنا مستقر في الفعل .

والثالث : أن « من » مرفوعة المحل ، نسقاً على الضمير المرفوع في « لأنذركم » وجاز ذلك لأن الفصل بالمفعول والجار والمجرور اغنى عن تأكيده ، والتقدير : لأنذركم به ، ولينذركم الذي بلغه .

الجمل ، الفتوحات الإلّهية جـ : ١ ، ص : ١٤ .

(١) سورة سبأ الآية رقم ٢٨ .

(٢) سورة الشورى ، آية : ٧ .

(٣) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ص : ١٣ .

(٤) الفخر الرازي ، التفسير الكبير حـ : ١٤ ، ص : ١٤٨ .

(٥) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ص : ١٩ .

(٦) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧ .

أما الآيات المدنية :

فقوله تعالى : ﴿ . . . **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا** . . . ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة . من الخاسرين** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً** . . ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[4] .

وإذا انتقلنا بعد ما ذكرنا من آيات القرآن الكريم ، إلى السنة النبوية وجدناها الصدى المتجاوب مع آيات الله .

يقول رسول الله - ﷺ - : « **كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود** »[5] .

ويقول رسول الله - ﷺ : « **إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة** »[6] .

وفي كتاب النبي - ﷺ - إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي ملكي عمان ، قوله : « **فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين** »[7] .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٦٤ .

(٤) سورة التوبة الآية رقم ٢٣ . وسورة الفتح الآية رقم ٢٧ ,

(٥) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب المساجد حـ : ٥ ، ص : ٣ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الصلاة ، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ج : ١ ، ص : ٥٣٣ .

(٧) القسطلاني ، المواهب اللدنية ، جـ : ١ ، ص : ٢٢٥ ، ط : الباب الحلبي ، بمصر .

وفي حديث البراء بن عازب ـ عند حفر الخندق ـ في غزوة الأحزاب ، وقد اعترضت المسلمين صخرة ، وهم يحفرون ، جاء قولهم : فاشتكينا ذلك للنبي ـ ﷺ ـ، فجاء وأخذ المعول فقال : « **باسم الله ، ثم ضربه فنشر ثلثها** » . وفي رواية : فخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة ، وقال : « **الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله أني لأرى قصورها الحمر الساعة من مكاني هذا** » . قال : ثم ضرب الثانية ، فقال : « **باسم الله** »، فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « **الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض** » . ثم ضرب ثالثة ، وقال : « **باسم الله** » ، فقطع الحجر ، وقال : « **الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر باب صنعاء** »(1) .

وعن عدي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال له : « **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى** » . قلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟ . قال : « كنوز كسرى بن هرمز » . وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز(2) .

وقال : رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إنكم ستفتحون مصر وهي : أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها ، فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً . . أو قال : ذمة وصهراً** »(3) .

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أعطيت خمساً ، لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجد وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة** » .

---

(1) رواه أحمد في مسنده ، جـ : ٤ ، ص : ٣٠٣ بنفس اللفظ .
ورواه النسائي في سننه ، كتاب الجهاد ، غزوة الترك والحبشة ، جـ : ٦ ، ص : ٤٣ ، مع اختلاف في الألفاظ .

(2) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة جـ : ٦ ، ص : ٦١٠ .

(3) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ـ ﷺ ـ، جـ ٤ : ص : ١٩٧٠ .

هذه الأحاديث وغيرها ـ مما جرى مجراها في التبشير بالفتح ، ونشر دين الله ـ ، تدل دلالة أكيدة ، لا لبس فيها ولا غموض ، على عالمية الدين الإسلامي ، وأنه سينشر في هذه الأصقاع والأمصار ، التي أشارت إليها الأحاديث وغيرها .

المجموعة الثانية : تقوم أدلتها على العوامل الأساسية ، إذ أن المقومات الأساسية ، الخالدة للإسلام : أنه قائم على العقل والبرهان ، وأن هناك ـ أصولاً أولية يتألف منها دستور علمي ، يوجه إلى ينابيع الحكمة ، وهي تنحصر في هذه الكليات التي تفيد : دوام النظر ، والتفكير في الوجود إجمالاً ، وفي الكائنات التي فيه تفصيلاً ، ودرس أحوال الأمم ، والإعتبار بها ، وتنور نواميس الاجتماع من خلالها ، والاستهداء بالأعلام المنصوبة في الوجود لهداية السالكين إلى الحقائق الخالصة من الشوائب ، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية ، ومن الهوى في الحكم على الأشياء ، والاجتهاد في تحصيل العلم حيث كان ، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال ، الذي قدره الخالق للإنسان في هذا العالم ، واعتبار وحدة الإنسانية ، وأن الناس ما قسموا إلى أمم وشعوب وقبائل ، ليتخالفوا ويتناكروا ، وإنما ليتعارفوا ويحابوا[1] .

ويضاف إلى ما سبق من عوامل أساسية كدليل على عالمية الإسلام : أن كلمة « الإسلام » لا تدل على اسم شخص بعينه ، أو أمة بعينها ، وإنما تدل على صفة مخصوصة يضمنها معنى الإسلام .

ويظهر من هذا الاسم : أنه ما عنى بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من الرجال ، وليس خاصاً بأمة معينة ، دون سائر الأمم ، وإنما غايته أن يحلي الأرض جميعاً بصفة الإسلام ، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم هو مسلم ، ويكون مسلماً كل من سيتحلى بها في المستقبل[2] .

فالكلمة إذن بمدلولها وغايتها عامة شاملة ، تتسع لماضي الناس

---

(١) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) أبو الأعلى المودودي ، مبادىء الإسلام ، ص : ٣ ـ ٤ ، ط : المكتب الإسلامي ببيروت . محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .

وحاضرهم ومستقبلهم ، كما اتسعت نبوات الأنبياء جميعاً ، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحدهم دون الآخر .

والإسلام بلغة القرآن : ليس أسساً لدين خاص ، إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء[١] .

المجموعة الثالثة : أدلة واقعية ، وهي كثيرة ، وكلها تشهد لعالمية الإسلام وأنه دين الإنسانية كلها . . وسنحاول أن نشير إلى الحقائق الواقعية التالية :

أولاً : كان من السابقين إلى الإسلام أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي . وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كان من رؤساء قريش في الجاهلية محبباً فيهم ، مألفاً لهم . وكان إليه الأشناق[٢] في الجاهلية . كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته ، وحمالة من قام معه ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه .

فلما جاء الإسلام سبق إليه ، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له ، وميلهم إليه[٣] .

وأما بلال بن رباح : فقد اشتراه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقه لله ـ عز وجل ـ، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، يعني بلالاً .

وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ـ ﷺ ـ، وأبو بكر ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وبلال ، وسمية أم عمار[٤] .

وأما سلمان الفارسي : فأصله من فارس . وكان ببلاد فارس مجوسياً ،

---

(١) محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .
(٢) الأشناق : هي الديات . / ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ : ٣ ، ص : ٣١٠ .
(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ : ٣ ، ص : ٣١٠ .
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ : ٥ . ص : ٤٨١ .

سادن النار[1] . فجاء إلى العرب في قصة طويلة وأسلم .

وأما صهيب الرومي : فكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأبلة[2] وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل .

ويقال : إن صهيباً لما كبر وعقل هرب وقدم مكة ، فحالف ابن جدعان وأقام معه ، ولما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ أسلم ، وكان من السابقين إلى الإسلام .

قال الواقدي : أسلم صهيب وعمار في يوم واحد ، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً[3] .

فماذا يعني دخول الرومي ، والأفريقي ، والفارسي ، والعربي في الإسلام ؟ يعني وبكل تأكيد : أن الإسلام جاء للإنسانية كلها .

ثانياً : ومن الحقائق الواقعية في التعامل الإسلامي الدال على عالمية الإسلام : أنه نادى كل الناس « فكانت العقيدة المذهبية التي وضعها للإسلام ، والمبدأ العام الذي يجب أن تسير عليه البشرية في تطورها ، لتصل إلى غايته هو المعبر عنه في قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير** ﴾[4] .

والآية الكريمة ـ كما نرى ـ : خاطبت الناس ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ أي : البشر جميعاً ، وتكرر استعمال هذه الكلمة الدالة على الجنس البشري ، نحواً من أربعين ومائة مرة ، كثير منها ورد خطاباً للبشر عموماً كهذه الآية السابقة ، وكقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم . .** ﴾[5] .

---

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص : ٤١٧ .

(٢) هي : بلدة على شاطىء دجلة .

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ : ٣ ، ص : ٣٦ ـ ٣٩ .

(٤) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ ، وانظر : محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص ٩٦ ، ضمن كتاب (استراتيجية العالم الإسلامي ط : وزارة الحج والأوقاف ، مكة المكرمة ، سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

(٥) سورة البقرة الآية رقم ٢١ .

﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً . . ﴾[1] .

﴿ . . . يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم . . . ﴾[2] .

وجاءت كلمة الناس في معرض الحض على تقديم الخير للناس في كثير من الآيات : قال تعالى : **﴿ . . . وقولوا للناس حسناً . . . ﴾[3] .**

﴿ . . . والعافين عن الناس . . . ﴾[4] .

﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم . . . ﴾[5] .

﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . . . ﴾[6] .

﴿ . . . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . . ﴾[7] .

﴿ . . . والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس . . . ﴾[8] .

وكلمة الناس استعملت في القرآن الكريم ، بمعنى : الجنس البشري عموماً ، لا بمعنى المسلمين العرب ، أو العرب ، بدليل قوله تعالى في الآيات الآتية مما لا يمكن حمله إلا على الناس عموماً .

﴿ . . . إن الله لذو فضل على الناس . . . ﴾[9] .

﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس . . . ﴾[10].

﴿ . . وتلك الأيام نداولها بين الناس . . ﴾[11] .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٨ .

(٢) سورة يونس الآية رقم ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ .

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٤ .

(٥) سورة الشعراء الآية رقم ١٨٣ .

(٦) سورة النساء الآية رقم ١١٤ .

(٧) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .

(٨) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .

(٩) سورة البقرة الآية رقم ٢٤٣ .
وسورة يونس الآية رقم ٩٠ .
وسورة غافر الآية رقم ٦١ .

(١٠) سورة البقرة الآية رقم ١٨٩ .

(١١) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٠ .

﴿ **زين للناس حب الشهوات** . . . ﴾[1] .

﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** . . . ﴾[2] .

إن استعمال هذه الألفاظ : (الناس) و (الإنسان) يرسخ معنى الإنسانية العام ، ووحدة الجنس البشري ، ذلك أن القرآن الكريم ، لا يخاطب قومية معينة ، ولا شعباً معيناً ، بل يخاطب الإنسان بوجه عام[3] .

فالإسلام ـ كما يفهم من النصوص القرآنية ـ جاء ليقيم رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعاً بالله الخالق ، فهم جميعاً عباد الله لا ليجعل شعباً معيناً شعبه المختار .

والرسول الذي أمر بتبليغ الإسلام ، خوطب في القرآن الكريم على هذا الأساس : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** . . ﴾ . ولم يرسل ليكون هادياً إلى قومه وحدهم ، كما أرسل موسى هدى لبني إسرائيل ، وكما أرسل عيسى ـ عليه السلام ـ إلى خراف بني إسرائيل الضالة[4] . إنما أرسل ليكون للناس أجمعين .

ثالثاً : ومن الحقائق الدالة على عالمية الإسلام : الكتب والرسائل التي بعث بها النبي ـ ﷺ ـ إلى ملوك الأمم ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

يقول ابن هشام : بعث رسول الله ـ ﷺ ـ رسلاً من أصحابه وكتب معهم كتباً إلى الملوك ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

- فبعث دحية بن خليفة الكلبي ، إلى قيصر ملك الروم .
- وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس .
- وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة .
- وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨ .

(٣) محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص : ٩٧ ، ضمن كتاب : (استراتيجية العالم الإسلامي) .

(٤) المصدر السابق ، ص : ٩٩ .

وأشار ابن هشام ، في سيرة النبي - ﷺ - إلى كتب ورسائل أخرى إلى ملوك عمان ، واليمامة ، والبحرين ، وتخوم الشام[1] .

ومن أمثلة هذه الكتب : ما أرسله النبي - ﷺ - إلى النجاشي ، إذ قال له : «**بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله - ﷺ - إلى النجاشي ملك الحبشة**. . أسلم أنت، **فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، الملك** القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، خلقه الله من روحه ونفسه ، كما خلق آدم بيده . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله - عز وجل - فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى »[2] .

وفي هذه الرسالة دعوة ملك الحبشة إلى الايمان بالإسلام ، والدخول فيه ، وكذلك الرسائل الأخرى ، توجهت بالدعوة إلى دين الإسلام . ففي رسالة هرقل . - عظيم الروم - قول الرسول - ﷺ - : « **فإني أدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين** »[3] . **وفي الرسالة المبعوثة إلى كسرى - ملك الفرس - : أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس**[4] **وكذلك تضمنت الرسالة المرسلة إلى المقوقس عظيم مصر : « فإني أدعوك للإسلام ، فأسلم تسلم ، وإن يسلم قومك يؤتك الله أجرك مرتين** »[5] .

فكتب الرسول - ﷺ - تؤكد الدعوة الإسلامية ، التي جاءت للناس أجمعين .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ : ٤ ، ص : ٢١٧ ، باختصار شديد .

(٢) علي الأحمدي ، مكاتيب الرسول ، ص : ١٢١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب دعوة اليهود والنصارى ، وعلى ما يقاتلون عليه ، وما كتب النبي - ﷺ - إلى كسرى وقيصر ، والدعوة قبل القتال ، جـ ٦ ، ص ١٠٨ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، جـ : ١ ، ص : ٣٢ . وفي كتاب الجهاد ، جـ : ٦ ، ص : ١٠٩ .

(٥) رواه الزيلعي ، في نصب الراية ، جـ : ٤ ، ص : ٤٢١ .

والباحث في عالمية الدين الإسلامي : يجد أن هذه العالمية نطقت بها آيات القرآن الكريم ، وجاءت بها السنة النبوية ، وأكدها واقع الدعوة الإسلامية من سرايا ، وغزوات ، وفتوح ، واستقبال للوفود ، وكتب للملوك في العالم .

والأدلة على عالمية الإسلام أكثر من أن تذكر ، وتتجلى في الإسلام وأحكامه وتشريعه ، وأخلاقه ، وفضائله ، وكل ومضة من ومضاته ، وإشراقة من إشراقاته .

إن الرحلة التي قطعتها في « بحوث مقارنة الأديان » كانت وبحمد الله تعالى ، رحلة علمية رائعة . رغم ما لقيت فيها من صبر ، وجهد .

وإن المرء الذي يقلب بطون أمهات الكتب ، باحثاً ودارساً ، يجد نفسه ، في قمة السعادة ، لأنه يعثر على كنوز دفينة . من حقها أن تبرز إلى القارئين ، والدارسين ، والباحثين . ليفيدوا منها ، فيما يقولون ، ويتناولون . . .

وقد وضح لنا أن « علم مقارنة الأديان » علم إسلامي أصيل ، وما تركه المسلمون إلا يوم أن ناموا ، ورقدوا عن الحياة .

ومن شأن الأمة الإسلامية ، وهي تتطلع إلى مجد مشرق ، وحضارة تربط بين ماضٍ أصيل ، وحاضر يحتاج إلى جهود . أن تعرف جهود العلماء المسلمين ، في « علم مقارنة الأديان » ذلك العلم الذي ترعرع في ظل سماحة جاء بها الإسلام . فكانت المواقف الرائعة ، التي تجلت في إبراز موقف الإسلام من الأديان الأخرى ، وعلاقته بها . .

وكلما اكتشف الإنسان في وضوح علاقة الإسلام بالأديان الأخرى ، كلما ازداد يقظة ، ووعياً ، بالمعاني النبيلة ، التي تربط الإنسانية ، وإن الإسلام إنما جاء ليقيم الروابط بين البشر ، على أساس من العدل ، والإنصاف ، والصدق ، والحق .

والإنسانية من أولها إلى آخرها ، وفي قديمها وحديثها ، في أشد الحاجة

إلى التدين . لأن التدين عنصر ضروري لتقوية الوجدانات في الإنسان . وعنصر ضروري ، لتقوية الإرادة . وعنصر ضروري لتقوية النظر .

والإنسان بفطرته يتطلع إلى التدين ، لأنه لا بد وأن يتعلق . ولا يوجد إنسان بدون تعلق ـ أياً كان هذا التعلق ـ فالتدين ضرورة من ضرورات الحياة .

وقضية نشأة الدين عند الإنسان ، شغلت كثيراً من العلماء الباحثين ، ورجال الفلسفة ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، وغيرهم ممن يهتمون بإجراء البحوث ، والدراسات ، والمقارنات ، والمقابلات .

ومن شأن العلماء أن يهتموا بنشأة الدين عند الإنسان ، لأن الدين ضروري للإنسانية في كل زمان ومكان .

ولا يخفى أن آراء العلماء في نشأة الدين . كونت في مجموعها ، بحوثاً متعددة ، يجد الباحث « في علم مقارنة الأديان » أنه لا بد من التعرف عليها ، أو على أهمها . ومن شأن العقل الإنساني أن يتابع ، وأن العلم يجب أن يبحث في كل شيء .

والاتجاه الإنساني في التعرف على « نشأة الدين » اتجاه بذل علماؤه الجهود المضنية ، وقدموا بحوثهم حسب ما بدا لهم من دراسات . فكان علينا أن نعرف هذه الآراء التي قال بها أصحابها .

وليس من الكياسة أن لا ندرس فلسفات الإنسانية ، القديم منها والحديث ، بحجة أن ذلك فكر إنساني ، بعيد عنا . .

وإذا كان بعض الأفراد يرى : أنه ليس من الصواب أن نتعرف على فلسفات اليونان ، ومذاهب الرومان ، وما جرى مجرى هذا من فلسفات حديثة . فإن هذه الرؤية قد تكون صحيحة ، لو أن المسلمين يعيشون وحدهم في هذه الدنيا ، وليس معهم غيرهم . ولكن نحن لسنا وحدنا . وإنما يعيش معنا رجال وأمم ، لهم فلسفات ، وكانت لهم فلسفات . والإسلام يدعونا إلى التفتح الواعي ، الذي يبصرنا بمواقعنا ، ويبصرنا بمن حولنا ، ويريد منا أن نعرف من نحن ؟ ومن هم ؟ وما هي أفكارنا ؟ وما هي أفكارهم ؟ وما هي فلسفتنا ؟ وما هي فلسفتهم ؟ إن التعرف على هذه القضايا ؟ وتلك الفلسفات .

أمـر قد يبـدو مهماً في دراسـة الفكر البشـري ، وتتبـع منحنيـاتـه ، صعـوداً ، وهبوطاً . .

ولا يخفى أن الـوقوف على تلك المـذاهب كلهـا ، يـطلعـك على ثـراء الفكر ، ويجعلك تصحح الكثير من الأفكار التي ترى أنها في حاجة إلى تعليق أو تصحيـح على أن الباحث قـد يجد راحـة فيما وصـل إليه الفكـر في مذهب التوحيد الفطري ، الذي يؤكد على فطرية التدين .

على أن أهم ما يطالعه القارىء في الدراسات المختلفة رؤية الذين يرون أن الإنسان ما وصل إلى الدين إلا عن طريق الوحي . ومن هنا كانت العلاقة بين الأديان السماوية علاقة تقوم على الأصل الواحد ، والمصدر الواحد . وإن هذه العلاقة قد فصلها القرآن تفصيلاً . لأن أسسها قائمة وأصولها متوفرة .

ومعنى هذا . أن الإسلام جاء للإنسان في هذه الأرض ، ليأخذ به إلى كل ما من شأنه أن يصل به إلى السعادة والفلاح . .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- كتب التفاسير .
- السنة النبوية .
- كتب الحديث .
- ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم .
  - النبوات ، ط المطبعة المنبرية بمصر ١٣٤٦ هـ .
  - رسالة العبودية ، ط القاهرة .
  - درء تعارض العقل والنقل ، ط جامعة الإمام سعود ١٩٨١ م .
  - مجموع الفتاوى ، ط الرياض .
- ابن الأثير .

  أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط كتاب الشعب بالقاهرة .
- ابن القيم .

  زاد المعاد في سيرة خير العباد ، ط المطبعة المصرية ١٩٧٩ م .

  شفاء العليل ، ط مكتبة المعارف بمصر .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمرو الدمشقي .

  تفسير القرآن العظيم ، ط كتاب الشعب .
- ابن الشريف : محمود .

  الأديان في القرآن ، ط دار عكاظ بجدة ١٩٧٩ م .

ـ ابن هشام .
سيرة النبي ﷺ ، ط كتاب التحرير بمصر .
ـ ابن منظور .
لسان العرب ، ط دار المعارف بمصر .
ـ أبو زهرة : محمد .
مقارنات الأديان ، ط دار الفكر العربي . بيروت .
ـ أبو هلالة : يوسف محيي الدين .
دعوة الفطرة ، ط دار العاصمة بالرياض ١٤٠٨ هـ .
ـ البخاري : محمد بن إسماعيل .
الجامع الصحيح ، ط السلفية بمصر .
ـ البغدادي : عبد القادر بن طاهر التميمي .
الفرق بين الفرق ، ط دار المعرفة . بيروت .
الملل والنحل ، ط دار المشرق . بيروت .
ـ البيجوري .
حاشية على جوهرة التوحيد ، ط البابي الحلبي بمصر .
ـ التهانوي .
كشاف اصطلاحات الفنون ، ط صبيح بالقاهرة .
ـ الثعالبي : عبد العزيز .
في تاريخ المذاهب والأديان ، ط دار الفكر العربي . بيروت . ١٩٨٥ م .
ـ الجرجاني .
التعريفات ، ط بيروت .
ـ الجعفري : أبو البقاء .
الرد على النصارى تحقيق الدكتور محمد حسنين ، ط مكتبة المدارس بالدوحة ١٤٠٩ هـ .
ـ جعفر : الدكتور محمد كمال .
الإنسان والأديان ، ط دار الثقافة بالدوحة ١٩٨٥ م .

ـ الاندلسي : ابن حزم .
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط بيروت دار الجيل .
ـ الأشعري : أبو الحسن .
مقالات الإسلاميين ، ط القاهرة .
ـ الأصفهاني : الراغب .
المفردات في غريب القرآن ، ط دار المعرفة بيروت .
ـ حجازي : الدكتور سامي عفيفي .
العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام رسالة دكتوراه .
ـ الحلو : عيسى .
عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم ، ط العراق .
ـ حسين : الدكتور مبارك حسن .
بحث في مقارنة الأديان ، ط الأمانة بمصر ١٩٨٨ م .
ـ الخشاب : الدكتور طه .
الاجتماع الديني ، ط القاهرة .
ـ الخطيب : عبد الكريم .
الله ذاتاً وموضوعاً ، ط القاهرة .
قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ، ط القاهرة .
ـ دراز : الدكتور محمد عبد الله .
الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ط دار القلم الكويت .
ـ ديكارت : رينيه ديكارت .
مقال عن المنهج ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .
ـ رحمات : الدكتور أورانج كاري .
التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ، ط دار الثقافة بالدوحة .
ـ الرازي : الإمام فخر الدين .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ط البابي الحلبي بمصر .
ـ الراوي : محمد .
الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ط دار المعرفة . بيروت .

ـ زقزوق : الدكتور محمود حمدي .
دراسات في الفلسفة الحديثة ، ط دار الطباعة المحمدية ١٩٨٨ مصر .
ـ الزمخشري .
الكشاف ، ط القاهرة .
ـ زيدان : الدكتور عبد الكريم .
أصول الدين ، ط دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ١٩٧٦ م .
ـ السايح : الدكتور أحمد عبد الرحيم .
ـ فلسفة الحضارة الإسلامية ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩٠ مصر .
ـ الفضيلة والفضائل في الإسلام ، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٨٤ .
ـ علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة ، ط دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠ م .
ـ العقاد وفلسفته الإسلامية ، ط دار اللواء بالسعودية ١٩٨٩ م .
ـ الأسرة المسلمة وقضايا العصر . بالاشتراك مع الدكتور صبري عبد الرؤوف ، ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر .
ـ سبع : توفيق محمد .
واقعية المنهج القرآني ، ط مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٣ هـ .
ـ سعيد : الدكتور محمد رأفت .
التوازن في التصور الإسلامي ، ط دار الهداية بالمنصورة ١٤٠٨ هـ .
ـ سعيد : الدكتور عبد الستار فتح الله .
في معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ط القاهرة .
ـ الشال : الدكتور يوسف عبد الهادي .
الإسلام وبناء المجتمع ، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . ١٩٧١ م .
ـ الشاعر : الدكتور أحمد عبد الحميد .
نحو منهج متكامل في البحث الفلسفي . حولية كلية الشريعة . جامعة قطر ١٩٨٤ م .

- الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل .
مقالات الإسلاميين ، ط دار إحياء التراث الإسلامي .
- الشرقاوي : الدكتور محمد عبد الله .
الرد الجميل لإلهية عيسى للغزالي ، تحقيق ، ط دار الهداية بمصر ١٤٠٦ م .
- شلبي : الدكتور أحمد .
مقارنة الأديان - اليهودية ، ط مكتبة النهضة ١٩٧٨ . مصر .
- الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .
الملل والنحل ، ط دار المعرفة بيروت .
- الشكعة : الدكتور مصطفى .
إسلام بلا مذاهب ، ط الحلبي بمصر ١٩٧٧ م .
- صقر : الشيخ عطية .
الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ط الأزهر ١٩٨٧ م .
- الطهطاوي : المستشار محمد عزت .
النصرانية والإسلام ، ط مكتبة النور مصر ١٩٨٧ م .
- الطويل : الدكتور رزق الطويل .
العقيدة في الإسلام ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٠ م .
- عبارة : عبد المعين محمد .
معجم مفردات القرآن الكريم ، ط دار إحياء التراث الإسلامي . قطر ١٤٠٩ هـ .
- عثمان : الدكتور عبد الكريم .
معالم الثقافة الإسلامية ، ط الرياض بالمملكة العربية السعودية .
- عثمان : محمد صالح .
وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، ط جامعة الإمام سعود ١٤٠١ هـ .
- عبد الرازق : الشيخ مصطفى .
الدين والوحي والإسلام ، ط القاهرة .
- عبد الباقي : محمد فؤاد .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط كتاب الشعب بالقاهرة ١٩٧٨ م .

ـ عبد الواحد : الدكتور مصطفى .
خصائص العقيدة الإسلامية ندوة محاضرات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ١٣٩٢ هـ .
ـ العودة : سليمان بن فهد .
نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة ، ط الرياض ١٩٨٨ م .
ـ عبد العظيم : الدكتور علي .
إن الدين عند الله الإسلام ، ط مجمع البحوث بالأزهر ١٩٨٢ م .
ـ عبد التواب : الدكتور سيد .
محاضرات في علم التوحيد ، ط الجبلاوي ١٩٨٣ بالقاهرة .
ـ عليان : الدكتور رشدي .
ـ العقل عند الشيعة الإمامية ، ط دار السلام . بغداد ١٩٨٣ م .
ـ الأديان دراسة تاريخية مقارنة . بالاشتراك ، ط دار الحرية . بغداد ١٩٧٦ م .
ـ العقاد : عباس محمود .
ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ط دار الكتاب اللبناني . بيروت .
ـ الفلسفة القرآنية ، ط دار الكتاب اللبناني . بيروت .
ـ الله ، ط دار الكتاب اللبناني . بيروت .
ـ عطا : عبد القادر أحمد .
لماذا بعث الرسول في مكة ، ط المملكة العربية السعودية .
ـ عوضين : إبراهيم .
الإسلام والإنسان ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٣ م .
ـ علوان : عبد الله ناصح .
هذه الدعوة ما طبيعتها ؟ ط دار السلام بالقاهرة ١٩٨٦ م .
ـ غنايم : الدكتور نبيل وآخرين .
دراسات في الثقافة الإسلامية ، ط مكتبة الفلاح . الكويت ١٩٨٣ م .
ـ غلوش : الدكتور أحمد .
الدعوة الإسلامية ، ط دار الكتاب اللبناني . بيروت .

– فريزر : سير جيمس .

الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ، ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ م .

– فضل الله : الدكتور مهدي .

فلسفة ديكارت ومنهجه ، ط دار الطليعة . بيروت ١٩٨٣ م .

– فودة : الدكتور عبد العظيم فودة .

الحكم بما أنزل الله ، ط دار الصحوة ١٤٠٧ هـ . القاهرة .

– الفيروزأبادي : مجدد الدين محمد بن يعقوب .

القاموس المحيط ، ط القاهرة .

– قراعة : سنية .

التوحيد من عهد آدم والرسالات الكبرى ، ط كتاب الشعب . مصر .

– القرطبي .

الجامع لأحكام القرآن ، ط دار الكتاب العربي . بيروت .

– القرضاوي : الدكتور يوسف .

– الإيمان والحياة ، ط مكتبة وهبة ١٩٨٧ مصر .

– الخصائص العامة للإسلام ، ط مكتبة وهبة ١٣٩٧ هـ مصر .

– القسطلاني .

المواهب اللدنية ، ط البابي الحلبي . بمصر .

– قطب : سيد .

خصائص التصور الإسلامي ، ط دار الشروق ١٩٨٠ مصر .

– كاير : جوزيف .

حكمة الأديان الحية ، ط بيروت ١٩٧٤ م .

– محمود : الدكتور جمال الدين .

أصول المجتمع الإسلامي ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠٤ هـ . .

– محمود : العميد عبد الرزاق .

المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ، ط الدار العربية للموسوعات . بيروت ١٩٨١ م .

ـ مخلوف : الشيخ حسنين محمد .
الرفق بالحيوان ، ط مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٢ م .
ـ مظهر : سليمان .
قصة الديانات ، ط دار الوطن العربي . بيروت .
ـ مزروعة : الدكتور محمود محمد .
الدين وحاجة الإنسانية إليه .
دراسات في الدين ، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٩ .
ـ موسى : الدكتور محمد يوسف .
ـ الإسلام والحياة ، ط مكتبة وهبة بالقاهرة .
ـ الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ط الشركة العربية للطباعة بالقاهرة ١٩٦١ م .
ـ نجيب : الدكتور عمارة .
الإنسان في ظل الأديان ، ط المكتبة التوفيقية بالحسين ١٩٧٦ م .
ـ النشار : الدكتور علي سامي .
نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ، ط دار المعارف بمصر .
ـ نصار : الدكتور محمد عبد الستار .
العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها ، ط دار الطباعة المحمدية ١٤٠٩ هـ .
ـ نصير : الدكتورة آمنة محمد .
مباحث في علوم العقيدة ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ م مصر .
ـ نعمة : الشيخ عبد الله .
عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ، ط مؤسسة عز الدين . بيروت ١٩٨٣ م .
ـ الهاشمي : العميد طه .
تاريخ الأديان وفلسفتها ، ط بغداد . العراق .
ـ وجدي : محمد فريد .
دائرة معارف القرن العشرين ، ط الأولى بمصر .

المحتوى

الموضوع	الصفحة

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ أضواء على الحضارة الإسلامية . ط دار اللواء ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٩٨٩م .

٢ ـ مستقبل الحضارة الإسلامية . ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٥هـ .

٣ ـ فلسفة الحضارة الإسلامية . ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٩م .

٤ ـ المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة . ط دار الطباعة المحمدية ١٩٨٠ مصر .

٥ ـ عباس العقاد وفلسفته الإسلامية . ط دار اللواء بالسعودية ١٩٨٩م .

٦ ـ معارك حاسمة في حياة المسلمين . ط دار اللواء بالسعودية ١٩٨٩م .

٧ ـ السلوك عند الحكيم الترمذي . ط دار السلام بالقاهرة ١٩٨٨م .

٨ ـ علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة . ط دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠م القاهرة .

٩ ـ الفضيلة والفضائل في الإسلام . ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٨٤ م .

١٠ ـ الهجرة انطلاقة وبناء . ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٨م .

١١ ـ من وحي السماء . ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٤م .

١٢ ـ منازل العباد من العبادة . للحكيم الترمذي . تحقيق ط المكتب الثقافي ١٩٨٨م مصر .

١٣ ـ مختارات في أحكام العصاة لأئمة السلف . ط مجلة الأزهر ١٤٠٨هـ .

١٤ ـ السيرة النبوية من روايات الإمام الطبري . ٤ أجزاء ط الأزهر ١٩٨٨م .

١٥ ـ التيارات والحركات المعاصرة . ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٩٠م .

١٦ ـ هذا هو الإسلام . ط دار الثقافة بالدوحة دولة قطر ١٩٩٠م .

كتب مطبوعة للمؤلف مع آخرين

١ ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي تحقيق بالاشتراك مع الدكتور السيد الجميلي جزءين ط دار الريان للتراث بالقاهرة ١٩٨٦م.

٢ ـ فتاوى النساء لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق بالاشتراك مع الدكتور السيد الجميلي ط دار الريان للتراث . بالقاهرة . ١٩٨٧م.

٣ ـ القضاء والقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق بالاشتراك مع الدكتور السيد الجميلي ط دار الفكر العربي . بيروت . ١٩٩٠م.

٤ ـ أمة الإسلام للإمام السيوطي تحقيق بالاشتراك مع الدكتور السيد الجميلي ط دار المشرق بالقاهرة . ١٩٨٨م.

٥ ـ الأسرة المسلمة وقضايا العصر تأليف بالاشتراك مع الدكتور صبري عبد الرؤوف ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٢ .

٦ ـ شرح العقائد النسفية للشيخ ملا الجندي تحقيق بالاشتراك مع الدكتور عبد الفتاح عبد الكريم ط دار المكتب الثقافي بالقاهرة .

٧ ـ شرح العقائد النفيسة للشيخ عصام تحقيق بالاشتراك مع الدكتور عبد الفتاح محمد عبد الكريم ط المكتب الثقافي بالقاهرة .

٨ ـ الأكياس والمغترين . للحكيم الترمذي . تحقيق بالاشتراك مع الدكتور السيد الجميلي . ط المكتب الثقافي بالقاهرة . ١٩٨٨م.

٩ ـ الفارق بين الخالق والمخلوق تحقيق بالاشتراك مع الأستاذ أبو بكر عبد الرازق بجامعة الدول العربية .

بحوث ودراسات للمؤلف

١ ـ فلسفة البراجماتزم مجلة دعوة الحق . بالمغرب .

٢ ـ الفلسفة والفيلسوف مجلة الباحث . بيروت وفرنسا .

٣ ـ العبقرية والعبقريات عند العقاد مجلة الدارة بالسعودية .

٤ ـ العلاقة بين الاستشراق والتبشير . حولية كلية أصول الدين بالمنوفية .

٥ ـ من قضايا الفكر الإسلامي . مجلة التربية بدولة قطر .

٦ ـ اللغة فلسفة وحياة مجلة اللسان العربي بالمغرب ١٩٧٢م.